

تاريخ
حياة المغفور له
علي مبارك باشا

استخرجها
الدكتور محمد بك دري الحكيم
من
كتاب الخطط التوفيقية المطبوع في سنة ١٣٠٢

وطبع على نفقته

(طبع)

(بالمطبعة الطبية الدرية الكائنة بجوار السقاين بمصر الحمية)
سنة ١٣١١ هجرية = سنة ١٨٩٤ ميلادية

تاريخ
حياة المغفور له
على مبارك ياشا

استخرجها
الدكتور محمد بك دري الحكيم
من
كتاب الخط التوفيقية المطبوع في سنة ١٣٠٦

وطبع على نفقته

(طبع)

(بالمطبعة الطبية الدرية الكائنة بجارة السقاين بمصر المحمية)
سنة ١٣١١ هجرية = سنة ١٨٩٤ ميلادية



سورة المرحوم عسلى ميسارنك باشا

ولد في سنة ١٢٣٩ هجرية

وتوفي في سنة ١٣١١ هجرية

تاريخ

حياة المغفور له

علي مبارك باشا



استخرجها

الدكتور محمد دري بك الحكيم

من

كتاب الخط التوفيقية المطبوع في سنة ١٣٠٩



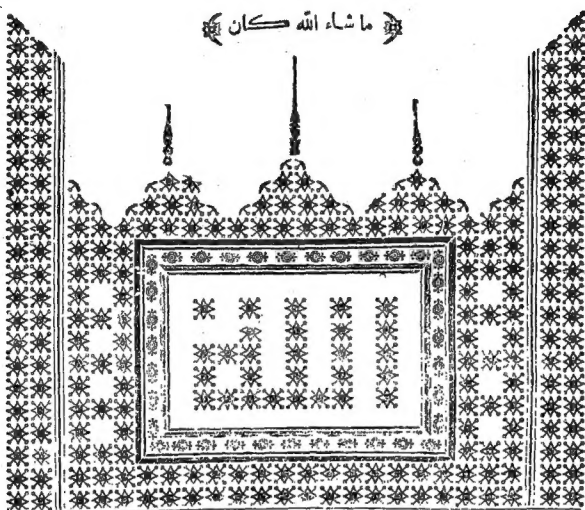
(طبع)

(بالمطبعة الطبية السورية الكائنة بحارة السقاين بمصر المحمية)

(سنة ١٣١١)

(هجرية)

﴿ ما شاء الله كان ﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فآوت بين الرجال في الآثار فهم من لم يذكروهم من غالب الادهار
والصلاة والسلام على من عنت الوجوه لجليل آثاره وتنافست الفهوم في
اعلاء مقسده سميحنا محمد أوسع النبيين علما وأفسطهم حكما وعلى آله
وصحابة والتابعين على سنته الى يوم الدين آمين (أما بعد) فيقول
الدكتور محمد دري بك الحكيم انني لما كنت ممن يعترفون لمفيد العلم
والوطن المرحوم على مبارك باشا بأنه نفع العباد والبلاد فانار العقول بالعلوم
وأفاد مصر المدنية وكنت ممن لا يهمل الواجب ولا يضيع الصاحب فكثرت
في أقرب طريق يبق ذكر ذلك الرجل العظيم في كل قلب سليم فلم أر أكمل
من طبع تاريخ حياته النادرة المشال محلاة بصورته المحفوظة في الخيال

فبعثت

فبعثت بها الى الديار الاوربية لرسمها على النقاس فجاءت طبق الاصل والقياس المشاهد للناس وبحثت عن ترجمة حياته رحمه الله فلم أجد أوفى مما كتبه هو بيده نقلا عما بقى في خلده فرجعت في ذلك الى ما كتب وأخذته من خطه الشهيرة التي هي إحدى آثاره الكثيرة وسأبج الترجمة بما أعلمه أو أقطفه من عاشره من جلائل أعماله وجليل خلله الى ان توفاه الله وأظن ان على هذا يصادف من اخوان الوطنيين صدرا رجبا فيعمل كل منهم بما يصل اليه الامكان في تخليد ذكر هذا الرجل الجليل رحمه الله وأبقى بعلمنا وعلمهم تخليد ذكره .

ولكننا نعلم ان مثل هذا العمل وهو العناية بأمر النافعين في ديارنا بعد وفاتهم مما يفيدنا نشاطا في العمل وبسطة في الأمل ولئلا هذا فليعمل العاملون وان في كتابة المرحوم تاريخ حياته بنفسه لا كبر قدوة لكل كبير وصاحب مقام خطير حتى لا يقبض الكتابون في الاعمال والايام وحتى لا يعد ذكر الاصل والحسب والنسب وما لاقوه من العسرة أو الشدة ضربا من ضروب التنقيص وحتى يتبين للعامة ان العظيم وان علا شأنه وكبر شأنه لا ينقصه ان يقول على نفسه ما يعلم وبذلك تكبرهم الناس فتشرف نفوسهم الى ان يكونوا من الكبراء وينالوا مناصب العظماء ولا يصدهم عن ذلك فكر انهم ليسوا أهلا لذلك المنال ولا من أبطال ذلك المجال فهذه أيضا إحدى حسنات ذلك الرجل الجليل فانه كتب عن نفسه ما لم يصل اليه كاتب لو لم يكتبه هو بقله فعبه الله برضوانه وأسكنه بجنات جناته وهذا هو الموجود في خطه قال رحمه الله

ان قرية برنبال الجديدة هي مسقط رأسي وبها نشأت وكأنت ولادتي في سنة ١٣٣٩ هجرية كما أخبرني بذلك أبي وأخي الأكبر المرحوم الحاج محمد المتوفي في شهر رمضان سنة ١٣٩٣ . والدي هو مبارك بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم الروحي ذكر لي أخى المذكوران جدنا الاعلى من ناحية الكوم .

والخليج قرية على بحر طناح وبسبب فشل كبير حصل في البلد تشتت عائلتنا في البلاد فذهب من أقام بناحية دموة وهم عائلة الجالصة ومنهم من أقام بناحية الموامنة ولم يبق منهم بالبلد الاصلية الا أولاد غيطاس وأقام جتنا الاكبر ابراهيم الروجي بناحية برنبال الجديدة مكرما معظما فكان هو أمامها وخطبها وقاضها وبعد موته عقبه والده سليمان على وظيفته وعقب سليمان ابنه مبارك ولما رزق مبارك الذي هو الجد الأدنى بأبي سماء على اسمه ونشأ على وظيفة آباءه وأجداده وهكذا أكثر العائلة فلذا كانت تعرف في البلد الى الآن بعائلة المشايخ وهي عائلة كثيرة الفروع بحيث ان منها في البلد طرة كاملة تعد نحو مائتي نفس ولهم بها وظيفة القضاء والخطبة والامامة وعقود الانكحة والكيل والميزان وكانت لهم رزقة بلا مال ولم يكن عليهم شئ مما على الفلاحين ولا لهم علائق عند حكام الجهات وبقوا على ذلك الى ان حصل ضعف أكثر أهل الناحية عن فلاحه الارض وانكسرت عليهم أموال الديوان فرمى الحكام على هذه العائلة مقدارا من الاطيان وطلبوا منهم أموالها المنكسرة عليها وضربوا عليهم بعض ضرائب وشددوا في خلاصها بالسجن والضرب كالسوء الفلاحين فضاقت خناقهم من ذلك لعدم اعتيادهم الإهانة وبعد بذلهم ما بأيديهم ويبيعهم المواشي وأثاثات البيوت رأوا أن لا مخلصا لهم من ذلك الا القرار ففارقوا البلد وتفرقوا في البلاد فنزل والدي بقرية الحمادين من بلاد الشرقية وعمرى اذ ذالك نحو ست سنين وقبل رحلتنا كنت ابتدأت في تعلم القراءة والكتابة على رجل من برنبال أعنى يسمى أبا عسر قد توفي بعد ذلك ولعدم اكرامنا بناحية الحمادين لم يطب لنا المقام بها فلم نلبث فيها الا قليلا وارتحلنا منها الى عرب السماعنة بالشرقية أيضا وهم من عرب الخيش ولم يكن عندهم فقهاء فأنزلوا والدي منزل الأكرام والاجلال وانتفعوا منه وانتفع منهم انتفاعا كبيرا وصار مرجعهم اليه في الاحكام الدينية وكان رجلا صالحا دينيا

متفقها حسن الاخلاق فاجبوه حباً شديداً وبتوا جامعا جعلوه أمامه ولم
ارتاح خاطره وارتاحت عنه الشدائد التفت الى تربيته فعلمنى أولاً بنفسه ثم
أسلمنى لمعلم اسمه الشيخ أحمد أبو خضر من ناحية الكردي قرية بقرب برنبال
وكان مقبلاً في قرية صغيرة قريبة من مساكن هؤلاء العرب وجعل الوالد
يرسل لي كفايتي عنده وكنت لا أذهب الى بيتنا الا كل جمعة ومن خوفى منه
كنت لأعود اليه فارغ اليد فاقمت عنده نحو سنتين تفتت القرآن بداية ثم
لكثرة ضربه لي تركته وأيت ان أذهب اليه بعد ذلك وجعلت اقرأ عند
والدي الا اني لكثرة أشغاله واشتغاله عني استعملت اللعب والتفريط ففسدت
ما حفظته نفسي والدي عاقبه ذلك فهم يجبري على الذهاب الى هذا المعلم
فتعاصبت ونويت الهروب ان لم يرجع عني وكان لي من الاخوات سبع
بنات شقيقات ولم يكن لوالدي من الذكور غيري ولي اخوة ذكور من غير
أبي فلما فهموا مني نية الهروب أشفقوا من ذلك وحنوا اليّ وسألوني عن
مرغوبي في التربية اذ لا يصح بقاء الشخص بلا تربية فاخترت أن لا أكون
فقط بهذه المثابة وانما أكون كاتباً لما كنت أرى للكاتب من حسن الهيئة
والهيئة والقرب من الحكم وكان لوالدي صاحب من الكتب كان كاتب
قسم واقامته بناحية الاخوية فاسلمني اليه فرأيت رجلاً حسن الهيئة نظيف
التياب جميل الخط فاقت عنده مدة ولي من والدي ضرب يكفيني فدخلت بيته
وخالطت عياله فاذا هو مجمل الظاهر فقير في بيته وله ثلاث زوجات وعيال على
قلة من الزاد فكنت في غالب أياي أبيت طاوياً من الجوع وكان أغلب تعليمه
اياي على قلته في البيت أمام نساءه وكان خروجه الى السرحة قليلاً واذا
خرج يستصحبني معه فلا أستفيد الا خدمتي له ومع ذلك فكان يؤذيني دائماً
الى ان كنا يوماً في قرية المناجاة فسألني أمام الناظر وجماعة حضور عن
الواحد في الواحد فقلت له بائنين فضر بني بمقلاة بن فصبني في رأسي فلامه

الحاضرون ونهبت الى والدى أشكوا اليه فلم أنل منه الا الاذية وكان يومئذ مولد سيدى أحمد البدوى فهربت مع الناس قاصدا المطرية جهة المنزلة لألحق بخالة لى هناك فمرضت بالريح الاصفر فى طريقى بقرية سان الحسين فأخذنى رجل من أهلها لأعرفه فمرضت عنده أربعين يوما وقد سألتنى عن أهلى فقلت أنا يتيم مقطوع وكان والدى فى تلك المدة وأحد اخوتى يفتشان على فى البلاد فاستدل على فى سان فلما رأته من بعد هربت وزلت بمنية طريف فأخذنى رجل عربى ولم أقم عنده الا قليلا وهربت منه ولحقت بأخ لى فى بلدتنا برنال وكان قد رجع الها وبعد أيام قدم الينا أخى الذى كان يفتش على فأخذنى بالحيلة الى والدى وقد أشكل عليهم أمرى ونهبوا كل منهب فى كيفية تريتى وما يصنعون بى وجعلوا يعرضون على القراء والكتاب فلم أقبل وقلت ان العلم لأستفيد منه الا الضرب والكتاب لا يفيدنى الا الضياع والاذية ويستفيد منى الخدمة ثم عرض على والدى ان يلحقنى بصاحب له من كبة المساحين فرضيت بذلك فلما عاشته رغبته فى عشرته لما كنت أكتسب من صحبته من النقود التى تنالنى عما يأخذه من الاهالى فاقت عنده ثلاثة أشهر ولكنى لصغر سنى وعدم معرفتى بما ينفع وما يضر كنت أفتى سره وأخبر عن أخذه من الناس فطردنى فبقيت فى بيتنا أقرأ على أبى ويستعصبنى فى قبض الاموال الاميرية التى على العرب وكان منوطا بذلك فكنت أباشر الكاية وبعض المحاسبات ثم بعد نحو سنة جعلنى مساعدا عند كاتب فى مأمورية أبى كبير بعلية حسين غرشا أبيض له الدفتر فاقت عنده نحو ثلاثة أشهر وقد خلقت ثيابى وماء حالى ولم أقبض شيأ من الماهية الا الاكل فى بيته ثم عيّننى يوما لقبض حاصل أبى كبير فقبضته وأمسكت عنسدى منه قدر ماهيتى وكسبت له علما بالواصل ووضعته فى كيس النقدية فلما وقف على ذلك اغتاز منى وأسرها فى نفسه وكان مأمورا بى كبير يومئذ عبد العال

أبو سالم من منية القروط فآخبره بذلك واتفق أن المأمورية مطلوب منها شخص في العسكرية فأغراه على وتوافق على الحاق بالجهادية لسداد هذه الطلبة فنادوني على حين غفلة وأمرني المأمور بالذهاب الى السجن لكتب المسجونين وأصحبني رجلا من أغوات المأمورية فلما دخلت السجن أحضرنا باشا من الحديد ووضعوه في رقبتي وتركنا مسجوناً فداخلى مالا مزيد عليه من الخوف فلبث في السجن بضعة وعشرين يوما في أوساخ المسجونين وقار ورائهم وصرت أنتهب فرق لي السجن لصغر سنني فقربني إلى الباب وواسيته بشئ من النقود التي كانت سبب مجبتي وكنت أرسلت الى والدي بحبسي فذهب الى العزيز وكان بناحية منية القمع وقدم له قصي في عرض حال فكتب بإخلا سبيلي وأخذ والذي الامر بيده وقبل حضوره الى أتى الى السجن صاحب لا من خدمة مأمور زراعة القطن بنواحي أبو كبير وأخبره ان المأمور محتاج الى كاتب يكون معه بماهية وكان السجن عيل الى فدلته على ووصفني له بالعبادة وحسن الخط وعرفه مسكنتي وما أنا فيه خال الخادم الى وطلب مني ان أكتب خطي في ورقة ليراها المأمور فكتبت عريضة واعتنيت فيها وناولتها للخادم مع غارز ذهب قيمته عشرون قرشا ليسلك لي الطريق عند مخدومه ووعدته بأكثر من ذلك أيضا فآخذها وبعد قليل حضر بامر الافراج عني وأخذني معه حتى قربت من المأمور وكان يسمى عنبر أفندي فنظرت اليه فاذا هو اسود حبسي كأنه عبد مملوك لكنه سمح جليل مهيب ورأيت مشايخ البلاد والحكام وقوف بين يديه وهو يلقى عليهم التنبهات فتأخرت حتى انصرفوا فدخلت عليه وقبلت يده فكلمني بكلام رقيق عربي فصيح وقال لي تريد ان تكون معي كاتباً ولك عندي جراية كل يوم وخمسة وسبعون قرشا ماهية كل شهر فقلت نعم ثم انصرف من أمامه وجلست مع الخدامين وكنت أعرف من المشايخ الذين كانوا بين يديه جماعة من مشايخ البلاد أصحاب الثروة

والخدم والختم والعبيد فاستغربت ما رأته من وقوفهم بين يديه وامتنالهم
أوامره وكنت لم أر مثل ذلك قبل ولم أسمع به بل أعتقد أن الحكام
لا يكونون إلا من الأتراك على حسب ما جرت به العادة في تلك الأزمان وبقيت
متجها متغيرا في السبب الذي جعل السادة يقفون أمام العبيد ويقبلون أيديهم
وحضت ككل الحرص على الوقوف على هذا السبب فكان ذلك من دواعي
ملازمتي له وفي ثاني يوم حضر والدي بأمر العزيز فسلمت عليه وأدخلته على
المأمور وعرفته إياه فبش في وجهه وأجلسه وأكرمه وكان والدي جميل
الهيئة أبيض اللون فصيفا متأدبا آثار الصلاح والتقوى ظاهرة عليه فكله في
شأنى فقال له ابني قد اخترته ليكون معي وجعلت له مرتبا فان أحببت فذاك
فشكره والدي ورضي أن أكون معه وذكر له أصولنا وحليتنا وانصرف
من مجلسه مسرورا ولما سهرت مع والدي ليلا جعلت كلأى معه في هذا
المأمور فقلت له هذا المأمور ليس من الأتراك لانه اسود فاجابني بأنه يمكن أن
يكون عبدا عتيقا فقلت هل يكون العبد حاكما مع أن أكبر البلاد لا يكونون
حاكما فضلا عن العبيد فجعل هو يبينني بأجوبة لا تقنعني فكان يقول لعل
سبب ذلك مكارم أخلاقه ومعرفته فاقول وما معرفته فيقول لعله جاور
بالأزهر وتعلم فيه فاقول هل التعلم في الأزهر يؤدي إلى أن يكون الإنسان
حاكما ومن خرج من الأزهر حاكما فقال يا ولدي كلنا عبيد الله والله تعالى
يرفع من يشاء فاقول مسلم لكن الأسباب لا بد منها وجعل يعطيني ويدكر لي
حكايات وأشعارا لم أسمع بها ثم أوصاني بملازمته وامتنال أوامره وبعد يومين
سافر عني وتركني عنده ثم حدثت لي فكرة أخرى مع الفكرة الأولى فكنت
أقول في نفسي ان الكتابة والمأهية كانت هي السبب في مجيئي ووضع الحديد
في رقبتى وقد وجدت هذا المأمور خلصني من ذلك فلو فعل المأمور معي
مثل ما فعل الكاتب فمن بخلصني واستمرت الفكرتان في بالي وكانت همتي في
التخلص

القلص من كل ذلك ومن أمثاله وأود أن أكون بحالة لا ذل فيها ولا تخشى غوائلها وفي أثناء ذلك اصطحبت بقراش له فجعلت أقصص منه من أخبار سيده وأسباب ترقيه وكنت أسترى منه ذلك استراقا بحيث أدخل هذا الكلام بغيره فاخبرني أن سيده مدرسة قصر العيني لما فتح العزيز المدارس وأدخل فيها أدخلته سيده مدرسة قصر العيني لما فتح العزيز المدارس وأدخل فيها الولدان وأخبرني أنهم يتعلمون فيها الخط والحساب واللغة التركية وغير ذلك وأن الحكام انما يؤخذون من المدارس حينئذ حال في صدى أن أدخل المدارس وسألته هل يدخلها أحد من الفلاحين فأخبرني أنه يدخلها صاحب الواسطة فشغل ذلك بالي زيادة ومع ذلك فلم تفرهمي وسألته عن قصر العيني وعن طريقه وكيف الإقامة فيه فاخبرني عن ذلك كله وأثنى على حسن إقامتهم بها وما كولهم وملبوسهم وإكرامهم فأزددت شوقا وكنت أكتب عندي كل ما يخبرني به من بيان الطريق وقدر المسافة وأسماء البلاد التي في الطريق وقامت بنفسى فكرة القلص والتوصل إلى المدارس فطلبت الإذن في زيارة أهلي فاذن لي بخمسة عشر يوما فسافرت إلى أن وصلت في يوم السبت إلى بني عباس قرية في طريق تقابلت مع جملة أطفال تحت قيادة رجل خياط مع كل واحد دواة وأقلام فجلست معهم تحت شجرة وتحدثنا فظهر لي أنهم تلامذة من مكتب منية العز وكان ذلك فالأحسن وأرأوا خطي فوجدوه أحسن من خطوطهم فقال بعضهم لبعض لو لحق هذا بالمكتب لكان جايشا فقال الخياط ذلك قليل عليه فان خط الباشا جويش الذي عندنا لا يساوي هذا الخط فسألهم ما الجاويش وما الباشا جويش فأخبروني أنهم المقدمون في المكتب فجعلت أستفهم عن المكتب وصفته وجعل الخياط يحسن لي أوصافه ويخبرني على دخوله وأقصمني أن نجباء المكاتب ينتقلون إلى المدارس بلا واسطة فرأيت ذلك غاية مرغوب فلم أتأخر عن الذهاب معهم ودخلت المكتب فاذا ناظره من

معارف والذى فاراد أن يعتنى من الانتظام فى عقد التلامذة واجهد فى ذلك لمرضاة والذى فلم أسمع كلامه وبقيت فى المكتب خمسة عشر يوما وكان الناظر قد أرسل الى والدى فلما جاءه قص عليه خبرى وأراه انى راغب جدا وانى قلت له ان لم يكتبنى فى المكتب اشكيتنى ثم دبر معه حيلة على أخذى على حين غفلة منى ومن التلامذة فانتظر خروجنا للقصة والاكل فى وقت الظهر فاخطفنى والذى الى بلدتنا وجلسنى فى البيت نحو عشرة أيام كل ذلك والذى نبكى منى وعلى ونستعطفنى للرجوع عما يوجب فراقهم وتحلفنى ان أرجع عن تلك النية فوعدها بالرجوع عن ذلك ارضاء لظايرها فاطلقونى وكانت لنا غنيمة صرت أرحاها وأبعدونى عن حرفة الكتابة التى ربما تصكون سببا لفراقهم فبقيت كذلك مدة حتى اطمأن خاطرهم وظنوا ان فكرتى ذهبت عنى مع انها لا تارقنى وانما كنت أخفيها الى ان انتهزت فرصة فى ليلة من الليالى فصيرت الى ان ناموا جميعا وأخذت دوائى وأدوائى وخرجت من عندهم خائفا أترقب وتوجهت تلقاء منية العز وكان ذلك آخر عهدى بسكائى بين أبوى وكانت ليلة مقمرة فشبحت حتى أصبحت فدخلت منية العز ضعى ولم يرق الناظر الا وأنا مع الاطفال فى داخل المكتب والتمت ان لا أخرج منه ليلا ولا نهارا مخافة اختطافى ثم حضر والذى وعمل طرق العيل على هو والناظر فلم ينبع ذلك فى ورجع بلا حاجته وجعل يتروى على طمعا فى أخذى من المكتب حتى جاء ناظر مكتب الخانقاه عصمت أفندى لقررت نجباء التلامذة الى قصر العيني فكنيت بمن اخبر لذلك فحضر والذى واشتكى لعصمت أفندى فقال له هذا ابنك أمامك وهو مخبر فيرونى فاخترت المدارس فبعد ذلك بكى والذى كثيرا وأغرى على جماعة من المعلمين وغيرهم ليستميلونى فلم أصغ لهم وكان ما قدر الله ولا راد لما قدره فدخلت مدرسة قصر العيني فى سنة احدى وخمسين ومائتين وألف وأنا يومئذ فى سن المراهقة وصرت فى فرقة برعى أفندى فوجدت المدارس على

خلاف

خلاف ما كنت أظن بل بسبب تجدد أمرها كانت واجبات الوظائف مجهولة فيها والتريسة والتعليمات غير معتنى بها بل كان جل اعتنائهم بتعليم المشى العسكرى فكان ذلك فى وقت الصبح والتلهر وبعد الأكل وفى أماكن النوم وكان جميع المتكلمين على التلامذة يؤذونهم بالضرب وأنواع السب والاهانة من غير حساب ولا حرج مع كثرة الاغراض والاعراض عن الاعتناء بشؤونهم من مأكولات وخلافها وكانت مقر وشأتهم حصر الخلق وأحرمة الصوف التليظ من شغل بولاق ومن كراهتى للطبخ المرتب لنا جعلت ادائى الجبن والزيتون وكان برعى أفندى براعبى بالنسبة لغيرى وكان معى قليل من النقود جعلته أمانة تحت يده فلما رأيت هذه الحالة ضقت ذرعا وظننت أنى جنيت على نفسى فى دخول المدارس التى بهذه المثابة ثم لتغير الهواء المعتاد وكثرة ما قام بى من الافكار اعترتني الامراض وطفح الجرب على جسمى فادخلونى الاسبتالية فتراكت على الامراض حتى آيسوا من حياتى ولكن الله سلم وفى أثناء ذلك حضر والدى وطلب ان يرانى فلم يمكنوه من الدخول فجعل لبعض التمارجية نحسين محبوبا من الذهب جعلنا على ان يخرجنى من الاسبتالية مرة ليخلصنى مما أنا فيه فلم أشعر الا والتمارجى قد كسر شبالة الحديد من المجل الذى أنا فيه وأخبرنى برغوب والدى وانه واقف ينتظرنى خارج المدرسة وأراد ان ينزلنى من الشبالة ويوصلنى اليه ليأخذ جعله قالت نفسى لاجنبته والذهاب مع والدى وترك المدارس وأهلها لما رأيته من الشدائد وعدم التعليم وما لحقتى من الجوع فى الاسبتالية حتى كنت أمص العظم الذى يلقيه الا يكون لكن فكرت فى عاقبة الهروب فاتهم كانوا يطلبون من يهرب من التلامذة ويقضون على أهله ويقيدونهم ويهينونهم فامتنعت من الخروج معه فاجتهد فى التصيل على تسهيل الامر لى فليت وأصبر على قضاء الله وأنا الجانى على نفسى وقلت له بلغ والدى السلام وسله ان يدعو لى وان يبلغ والدى عنى السلام ثم ان والدى

توسط حتى دخل عندي ورأى ورأيت وقبلني وقبلته وبكى وبكيت ثم ودعني
ومضى لسبيله وله زفرات ولي عبرات ولسان الحال يقول

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ثم شفيت وخرجت الى المدرسة واشتغلت بدروسي ولم أمرض بعد ذلك وفي
أواخر سنة اثنتين وخمسين نقلونا الى مدرسة أبي زعبل وجعلوا قصر العيني
لمدرسة الطب خاصة كما هو الآن فكانت ادارة المدارس في أبي زعبل كما
كانت في قصر العيني الا انه اهتم بالتعليم شياً بسبب جعل نظرها للرحوم
ابراهيم بك رافت وكان أثقل الفنون على وأصعبها فن الهندسة والحساب
والنحو فكانت أراها كالظلام وأرى كلام المعلمين فيها ككلام السمرة وبقيت
كذلك مدة الى ان جمع المرحوم ابراهيم بك رافت متأخرى التلامذة في آخر السنة
الثالثة من انتقالنا الى مدرسة أبي زعبل وجعلهم فرقة مستقلة فكانت أنا
منهم بل آخرهم وجعل نفسه هو المعلم لهذه الفرقة في أول درس ألقاه علينا
أفصح عن الغرض المقصود من الهندسة بمعنى واضح وألفاظ وجيزة وبين
أهمية الحدود والتعريفات الموضوعة في أوائل الفنون وان هذه الحروف
التي اصطلموها عليها انما تستعمل في أسماء الاشكال وأجزائها كاستعمال الاسماء
للأشخاص فكما ان للإنسان ان يختار لابنه ماشاء من الاسماء كذلك المصبر عن
الاشكال ان يختار لها ماشاء من الحروف فانفتح من حسن بيانه قفل
قلبي ووعيت ما يقول وكانت طريقته هي باب الفتح على ولم أقسم من أول
درس الا على قائدة وهكذا جميع دروسه بخلاف غيره من المعلمين فلم تكن لهم
هذه الطريقة وكان التزامهم لحالة واحدة هو المانع لي من الفهم فحتمت عليه
في أول سنة جميع الهندسة والحساب وصرت أول فرقتي وبقيت في النحو على
الحالة الاولى لعدم تغير المعلم ولا طريقة التعلم السيئة وكان رافت بك يضرب
في المثل ويجعل نجابتي على يديه برهاناً على سوء تعليم المعلمين وان سوء التعليم

هو السبب في تأخر التلامذة وفي تلك السنة وهي سنة ٥٥ فرزوا منها تلامذة المدرسة الهندسة يولاق فاخاروني فحين اختاروه فاقب بها خمس سنين وأخفت جميع دروسها وكنت فيها دائماً أول فرقتي وقلقتها فتلقيت بها الجزء الاول من الجبر على المرحوم طائل أفندي وكننا تلقيت عنه علم الميكانيكة وعلم الديناميكة وتركيب الآلات وتلقيت الجبر العالي عليه وعلى المرحوم محمد بك أبي سن وحساب التفاضل وعلم الفلك على المرحوم محمود باشا الفلكي وعلم الادرويليك على المرحوم دقلة أفندي وعلم الطوبوغرافيا والتوريزية على المرحوم ابراهيم أفندي رمضان وعلم الكيمياء والطبيعة والمعادن والجيولوجية وحساب الآلات على المرحوم أحمد بك فايد والهندسة الوصفية وقطع الاجار وقطع الاخشاب والظل والنظر بعضه على ابراهيم أفندي رمضان وبعضه على المرحوم سلامة باشا وتلقيت عليه أيضاً خاصة القسموغرافيا ولعدم وجود كتب مطبوعة في هذه الفنون وغيرها اذ ذاك كان التلامذة يكتبون النروس عن المعلمين في كراريس كل على قدر اجتهاده في استيفاء مايلقيه المعلمون وكان المعلمون يومئذ يبتلون غاية مجهودهم في التعليم فكان يندر ان يستوفى تلميذ في كراسة جميع ما يلقى اليه خصوصاً الاشكال والرسوم ولذلك كان الامر اذا تقدم أو خرجت التلامذة من المدارس يعسر عليهم استحضار ما تعلموه فكان يضيع منهم كثير مما تعلموه وفي آخر مدة الهندسة كانوا يطبعون مطبعة الجبر بعض كتب فاستعانت بها التلامذة وحصل منها النفع ثم تكرر طبع الكتب شيئاً فشيئاً الى الآن فصارت تطبع الفنون باشكالها ورسومها فسهل بذلك تناولها واستحضار ما فيها ثم في سنة ١٠٤٠ عزم العزيز على ارسال أئجاله الكرام الى علكة فرانسا ليتعلموا بها وصدر أمره بانتخاب جماعة من نجباء المدارس المتقدمين ليكونوا معهم وحضر المرحوم سليمان باشا الفرنساوي الى الهندسة فاقب عدة من تلاميذها فكنت فيهم

وكان ناظرها يومئذ لامييريك فاراد ان يبقيني بالمهندسخانة لاكون معلما بها
فعرضت على سليمان باشا اني أريد السفر مع المسافرين وجعل الناظر يمتثل
علي وأحال علي الخوجات ليشطوني عن السفر وقالوا لي ان بقيت ها هنا
تأخذ الرتبة حالا وتترتب لك الماهية وان سافرت تبقى تليسا وتفوتك تلك
المزية ورأيت ان سقرى مع الانجال مما يزيدني شرفا ورفعة واكتسابا للعارف .
فصممت على السفر مع اني أعلم ان أهلي فقراء ويعود عليهم النفع من الماهية
وهم منتظرون لذلك لكن رأيت الكثير الاجل خيرا من هذا القليل العاجل
فحصل ماأملته والحمد لله فسافرنا الى تلك البلاد وجعل فرقتي كل شهر مائتين
وخمسين قرشا ماهية كرفقتي فجعلت نصفها لاهلي تصرف لهم من مصر كل
شهر وكانت هذه سنتي معهم منذ دخلت المدارس فاقنا جميعا بياريس سنتين
في بيت واحد مختص بنا ورتب لنا المعلمون لجميع الدروس والضباط والناظر
من جهادية الفرنساوية لان رسالتنا كانت عسكرية وكما تتعلم التعليمات
العسكرية كل يوم (وهنا فكتة نذكرها) وهي ان معلومات رسالتنا كانت
مختلفة فبعضنا له المام بالتعليمات العسكرية فقط مثل الذين أخذوا من
الطوبجية والسوارى والبيادة والبعض له المام بالعلوم الرياضية ولا يعرفون
اللغة الفرنسية كالمأخوذ من المهندسخانة الذين أنا منهم والبعض له
معرفة باللغة الفرنسية . وكان بعض هؤلاء معلمين فيها بمدارس مصر فأقتضى
رأى الناظر ان يجعل المتقدمين في الرياضة واللغة الفرنسية فرقة واحدة
وكنت أنا منهم وأمر المعلمين ان يلقوا الدروس للجميع باللغة الفرنسية
لا فرق بين من يفهم تلك اللغة ومن لا يفهمها ففعلوا وأطالوا غير العارفين بها
على العارفين ليتعلموا منهم بعد اعطاء الدروس فكان العارفون باللغة يخلون
علينا بالتعليم لينفردوا بالتقدم فكنا مدة لانفهم شيئا من الدروس حتى
خفنا التأخير وتكررت منا الشكوى لتغيير هذه الطريقة وتعليمنا بكلام

تفهمه فلم يصح لشكوانا فتوقضا عن حضور الدرس أيا ما نجسونا وكتبوا في حقنا العزيز محمد على فصدر أمره بالتنبيه علينا بالامتنال ومن يخالف يرسل الى مصر محمدا نفخنا عاقبة ذلك وبذلت جهدى وأملت فكرى فى طريقة يحصل لى منها النتيجة ومعرفة اللغة الفرنسية فسألت عن كتب الاطفال فنبشوني عن كتاب فاشتريته واشتغلت بحفظه وثمرت عن ساعدى جدى فى الحفظ والمطالعة ولزمت السهاد وحرمت الرقاد فكنت لأنام من الليل الا قليلا حتى كان ذلك دينا لى الى الآن لحفظت الكتاب بعناء عن ظهر قلب ثم حفظت جزأ عظيمها من كتاب التاريخ بعناء أيضا وحفظت أسماء الاشكال الهندسية والاصطلاحات كل ذلك فى الثلاثة شهور الاول وكانت العادة ان الامتحان فى رأس كل ثلاثة شهور وكتب مع ذلك أنفت للدروس التى تعطىها الخوجات فاعمر الحفظ معى عمرة كسيرة وصرت أول الرسالة كلها بالتبادل مع حجاب بك وعلى باشا ابراهيم ولما حضر الى مدينة ياريس المرحوم ابراهيم باشا سر عسكر الديار المصرية حضر امتحاننا هو وسر عسكر الديار الفرنسية مع ابن ملكهم وأعيان فرانس وجلة من مشاهير النساء الكبار فأتى الجميع علينا التناء الجميل وقررت علينا المكافآت نحن الثلاثة فناولنى المرحوم ابراهيم باشا مكافئتي بيده وهى المكافئة الثانية وكانت نسخة من كتاب جغرافيا المطبرون الفرنسية باطلسها منه مبهمة ودعينا للاكل مع سر عسكرنا ابراهيم باشا ولما رجع الى مصر صار يثنى علينا عند العزيز وغيره وبعد تمام سنتين تعين الثلاثة الاول من فرقنا وهم أنا وحجاب بك وعلى باشا ابراهيم الى مدرسة الطبجية والهندسة الحربية بناحية ميتس من مملكة فرنسا أيضا وأعطينا رتبة الملازم الثانى فأقنا بها سنتين أيضا وتعلنا فيها فن الاستحكامات الخفيفة والاستحكامات الثقيلة والعمارات المائية والهوائية عسكرية ومدنية والانعام وفن الحرب وما يلحق به مع اعاده جميع ما سبق تعلينا ايام بتلخيص من

المعلمين في عبارات وجيزة جامعة ولم يحصل امتحاننا في هذه المدرسة الا في آخر السنتين فكنا في الفترة الخامسة عشرة من نحو خمسة وسبعين تلميذا ثم تفرقنا الى الالابات فكنت في الالاي الثالث من المهندسين الحربيين فأتت فيه أقل من سنة وكان المرحوم ابراهيم باشا يؤد اقامتنا في العسكرية حتى نستوفي فوائدها ثم نسيح في الديار الاوربانية لنشاهد الاعمال ونطبق العلم على العمل مع كشف حقائق أحوال تلك البلاد وأوضاعها وعاداتها وكان ذلك ثم المقصد ولكن أراد الله غير ما أراد هو وتوفي الى رحمة الله تعالى وفي سنة ١١٩٠ من الهجرة تولي حكومة مصر المرحوم عباس باشا فطلبنا للحضور الى مصر نحن الثلاثة وكان عليّ دين لبعض الافرنج نحو الستمائة فرنك وكانت الاوامر المقررة ان لا يسافر أحد الا بعد وفاء دينه وان يأتي منا الى مصر مدينا يوضع في السجن فوقع في أمر خطير وبقيت متصيرا وطلبت من رفعتي ان يسلفوني فقالوا لمعتدنا مانسلفك اياه وأنا أعلم تيسر بعضهم واقتدارهم فقعدت في محل اقامتي أفكر فيما أصنع واذا بصاحب لي من الافرنج دخل عليّ يدعوني للاكل عنده حيث اني مسافر فوجد حالي غير مايعهد فسألني فاخبرته فقال لا تحزن قل ياسيد يابدى يا من تجيب الاسير خلصني مما أنا فيه فقلت له ايمن الوقت وقت هزل فقال هذا أمر هين لا يهملك ثم ذهب فخاب قليلا ورجع الى بكيس رماه أماي فاذا فيه قدر الدين مرتين وقال لي بعد استقرارك بمصر وتيسر أمرك ترسل الى وطاء ولم يأخذ مني سنداً بوصول المبلغ وقال أنا أكتفي بالقول منك وقد كان وحضرنا الى مصر في تلك السنة وأرسلت اليه المال على يد قنصل فرنسا بعد مدة ومن حينئذ بطل المكتب الذي خصصه العزيز للتلامذة في بلاد أوروبا وبطلت الرسالة المصرية ومن بقى هناك كان في مدارس الفرنساوية تحت نظارتهم بمصر وفي الميري ولما جئنا الى مصر مكثنا جملة أيام لا ندري مايفعل بنا ثم طلبنا الى طرف حسن

باشا

باشا المناسيرلى وهو الكيخدا يوشى وأحسن النيا نحن الثلاثة دون غيرنا برتبة
 يوزباشى أول وتعينت خويجة بمدرسة طره وتعين على باشا ابراهيم وحجاءيك
 فى الآلى الطوبجية بطره أيضا وتعين الذين كانوا بمدرسة أركان حرب
 الفرنساوية فى معية رئيس رجال أركان حرب سليمان باشا القيرنساوى برتبتهم
 الأولى وهى رتبة الملازم ورقت الباقون ثم فرزت تلامذة المدارس وتشكلت
 مدرسة المقرورة من متقدي تلامذة جميع المدارس ولم يبق بمدرسة طره إلا
 جماعة قليلون متقدمون فى السن قد أزموا فى المدرسة وكان ناظرها يوشى يوشى
 بك من ضباط طوبجية فرنسا المعروفين وكان رجلا رفيق الطبع حسن
 الاخلاق حسن التدبير حسن القيام بوظائفه فاحضرنى مع باقى المعلمين وقال لنا:
 لئن التلامذة الباقين صاروا الى ما روى من قلة العدد وكبر السن وطول المدف
 وأخاف ان ذلك يدعوكم الى التكاسل لكنى أرجوكم كما هو الواجب عليكم ان
 تبذلوا الجهد منكم زيادة حتى تستملوهم الى الاستفادة على قدر الامكان وأمل
 ان هذه الحالة لا تدوم وبما قليل تستقيم الاحوال وعلى وعلى عليكم ان تقوم
 بواجب الامتثال واداء ما علينا ثم قال لى خصوصا انك قد اشتغلت بضم الهندسة
 الحربية وقد بلغت ان جالس بك يرغب ان تكون معيه وألم كثيرا فى طلبك
 ولم يجب انى مرغوبه وأظن ان الامر يؤل الى الحاقك به فلا تضجر واصبر
 فعاقبة الصبر خير والآن لم يكن عندك الا تلميذ واحد وعن قريب الحق لك
 به غيره فسكرناه على نصيته وانظرنا واشتغل كل منا بما تيطبه وفى تلك المدة
 تأهلت بكريه معلم فى الرسم بمدرسة أبى زعبل وكان أبوها قديما وصارت
 الى حالة الفقر فتزوجت بها لما كان لوالدها على من حق التربية والعرف
 ثم حدثتني قيسى ان أستاذنا لزيارة أهل بعد هذه القيمة الطويلة فكلت
 الناظر فى ذلك فقال لى ان من يسافر يقطع نصف ماله وتأت الى ان شئت الى
 فالأحسن ان يصبر حتى أكمل سليمان باشا القيرنساوى لياخذك

مأمورية استكشاف البحيرة والسواحل فاذا حصل ذلك يتم مرغوبك بسهولة وقد حصل وأخذت المأمورية وسافرت معه ولما كنا بدمياط انفصلت عنه في جهة من المأمورية وبعد ان سعت البحيرة وحررت جزئها ورجعها ذهبت الى بلدتنا بنبال وكان أهلى قد رجعوا اليها قبل ذلك بمدة فوجدت ان أبى قد سافر الى مصر ليزارتى ولم أجد في المنزل الا والدنى وبعض اخوتى وكان دخولى عليهم ليلا فطرفت الباب فقبل من أنت فقلت اينكم على مباركة وكانت مدة مفارقتى لاي أربع عشرة سنة لم ترق فيها ولا سمعت صوتى فقامت مدهوشة الى ما وراء الباب وطلعت تنظر وتحد النظر وكنت بقباضة العسكرية الفرنساوية لابسا سيفاً وكسوة تشريف وكررت السؤال حتى علمت صدق فقمت الباب وعانقتنى ووقعت مغشياً عليها ثم أفاقت وجعلت تبكى وتفعل وتزغرط وجاء أهل البيت والأقارب والجيران وامتلاء المنزل ناساً وبقينا كذلك الى الصباح والناس بين ذاهب وآيب ثم رأيت والدنى في حيرة فيما تصنعه لى من الأكرام وتريد عمل وليمة وهى فارغة اليد ورأيتها تبكى ففهمت حقيقة الحال فتناولتها عشرة بنتو كانت يجيى ففرحت وأولت فاقت عندهم يومين ثم استأذنتهم ووعدهم بالعود ورجعت الى دمياط وأوردت تليمة الاستكشاف على رئيس الرجال فوقع عند موقع الاستقصان وأتى على وأخبرنى انه استحصل على أمر من عيالى باشا بالخاق بحجة جاليس بك فقبلت يده وشكرت له ولما رجعنا الى المحروسة استأذنته وسافرت الى الاسكندرية بعيالى وأخ وأخت لى صغيرين كنت أريهما فلما وصلت هناك تركتهما فى المركب وذهبت الى جاليس بك فوجدت عنده سليمان باشا الفرنساوى قد سبقنى وكنا غيره من الأمراء والضباط فجلس بعد اداء الواجب وبينما فقجان القهوة يبدى اذا بكمكوب وارد بالاشارة من المرحوم عباس باشا بطلبى حالا فى الواور المنهى للقيام فانتم لذلك جاليس بك وداخلى مالا يزيد عليه من الخوف لما كنت أعلم

أعلم عما كان يقع لمن يلوذ بالعائلة الخديوية من الايذاء وكلن لي اجتماعات بالخديوى اسماعيل وغيره منهم فهوون على سليمان باشا الفرنساوى وقال لعله يريد ان يجعلك معلما لابنه لانه تكلم في ذلك مرارا فلا تحفظ فقلت ان أهلى فى المركب وكيف أصنع بهم فقال أنا أئوب عنك فهم وأرسلهم وراءك الى مصر فنقل عنك هذا الامر وامضى بسلامة الله فن غير ان أرى عيالى ولا ان يعلمواى سافرت فى الواوور وأنا بين راغب وراهب ولما تمثلت بين يدى المرحوم عباس باشا أنا وحماد بك وعلى باشا ابراهيم قال لي أنت على أقندى مبارك قلت نعم فقال ان أحد باشا (يعنى أنا الخديوى السابق) قد أثنى عليك فقد جعلتكم فى معيتى وقد أمرت بامتحان مهندسى الارياف ومعلمى المدارس لان الكثير منهم ليسوا على شئ وجعلتكم من أرباب الامتحان وشرط علينا ان لا نسلكم الا بالصدق ولو على أنفسنا واذا عثر على ان أحدا منا كذب فى شئ فجزاءه سلب نعتيه والباسة لبس الفلاحين وسلكه فى سلكهم ثم حلفنا على ذلك واحدا واحدا فحلفنا وحينئذ أنعم علينا برتبة الصاغقول أعامى وأعطانا نبشانات الرتبة وهى عبارة عن نصف هلال من الفضة ونجمة من الذهب فيها ثلاثة أحجار من ألماس وخرجنا فرحين واشتغلنا بما يطرنا على الوجه الآم وسافرنا معه الى الجهات القبلية وصار امتحان المهندسين وتعيين كثير من خرس من أرباب المعارف الذين تربوا فى المهندسخانة وفى هذه السفرة أحيل علينا الكشف على شلال اصوان لبيان الطريق الاوفق لسير المراكب فاستكشفنا ذلك وقدمنا به جزالا ورعما فأتى على الغرض المطلوب ومذ كما يسيوط أمرنا بالذهاب الى منفوط لبيان ما يلزم عمله فى تحويل البحر عنها فتوجهنا مع الكاشف جمال الدين كبير هذه المدينة وقررنا ما يلزم اجراء لمنع هذا الداء العضال عنها فاجرى وحصلت تتيته ثم لما عدنا الى المحروسة صدر الامر بتوجهنا الى القناطر الخيرية لشورة مع موجيل بك بالمشهندسها فيما يلزم عمله.

لتسهيل سير المراكب بها ومنع العطب عنها فان الخطر كان متتابعاً فيها لشدة التيار هناك لان القناطر كانت قد قاربت التمام ولم يبق الاقنات الوسط فكان كثير من المراكب يتعطل ان لم يعطب وكان موحيل بك قد أبدى رأياً يجعل ترع تمر فيها المراكب وقدمه للرحوم عباس باشا فلم يوافق عليه لما في ذلك من كثرة المصروف وهذا هو السبب في تعييننا قبالتداول حصل اتفاقنا على استعمال وابورات تسحب المراكب بالارفاطات وعرض ذلك عليه فاجابه وأجرى به العمل وأبطل التجهيم الاول وكان كثيراً ما يحيل علينا أشغالات ترد من الدواوين مما يتعلق بالهندسة فيقوم بها وفي أواخر سنة ١١٩٠ كان قد عرض عليه من طرفه لاميير بك ترتيب المدارس الملكية والصناعات يبلغ منصرفه نحو عشرين ألف كيس فاستعظمه وأحال علينا النظر فيه بشرط ان لا نقبضه فتداولنا ذلك بيننا أماماً ولم تتفق آراءنا فبقيت فوات الوقت قبل تمام العمل فشرعت وحدي في عمله من غير انتظار لرأى أحد فجعلت لجميع المدارس ترتيباً يبلغ منصرفه ألف كيس وجعلت أساس ذلك احتياجات القطر لا غيراً وان جميع المدارس الملكية تكون في محل واحد تحت إدارة ناظر واحد وأسقطت الصناعات للمرة من الترتيب لعدم وجود من يقوم بها حق القيام اذ ذاك من أبناء الوطن مع احتياجها الى كثرة المصروف وأبديت في الترتيب انه يلزم توجيه جماعة الى بلاد الافرنج ليتعلموا فنون الصناعات وبعد قدومهم يصير قصها وإدارتها ويعتد لذلك محمود باشا الفلكي وسكان اذ ذاك بركة ضاعقول أعاسي وامام عيل باشا الفلكي وحسين بك ابراهيم وكان من التلامذة الذين تعلموا دروسهم ثم قرأت ذلك الترتيب على رفيقي فلم يوافقا عليه فقلت هو عندنا محفوظ فان لم نعمل غيره نقدمه ليعتد عنا اليوم وقد كان ذلك عين الصواب لانه بعد قليل طلب منا تقديم الترتيب ولم تكن علينا غير هذا فقدمناه فاستقره المرحوم عباس باشا وعجب مما فيه من الاصول المخترعة مع

قلة مصرفها وقال من عمل هذا فقلت أنا عملته ووجد آراء صاحبي مختلفة ومخالفة لذلك فاحال النظر فيه على مجلس ينعقد من جميع رؤساء النوادرين مع حضورى وحضور لامينيك فانعقد المجلس ثمانية أيام وبعد المناقشة الطويلة استقر رأى الجميع على هذا وصدرت خلاصة باستقصائه واستحقاق رتبة أمير الآلى فطلبنى المرحوم عباس باشا وسألنى عما أراه من نجاح هذا الترتيب وعدمه لدى العمل به فقلت هذا رأى فان أحسن مديره إدارته وأجراه على فهم منه وبصيرة نجح والا فلا فان الساعة المضبوطة الدقيقة الصنعة يفسدها من لا يحسن إدارتها من جاهل أو مفرط وتدوم على حالها إذا كانت بيد من يحسن إدارتها فحجب من نراعى واستحسن جوابى وقال فهل تضمن ذلك فقلت كيف وقد ضمنته الجميع بالقرار الذى علموه فاحال على نظارتها وأعطانى الرتبة والتبشان وجعل على باشا ابراهيم معلم شجله الهاى باشا وجاد بيك ناظر قلم هندسة برتبة بيكاشى فاجريت إدارة المدارس المهندسة وما يلحق بها وأحال على تعيين معلمى المفروزة وترتيب دروسها واختيار ما يلزم لها من الكتب فاجريت ذلك وكان لى عنده منزلة وفى هذه نظارتى كنت أباشر تأليف كتب المدارس بنفسى مع بعض المعلمين وجعلت بها مطبعة حروف ومطبعة حجر طبع فيها لدارس الحرية والآلات الجهادية نحو ستين ألف نسخة من كتب متنوعة غير ما طبع فى كل فن مطبعة الجبر الهندسة وملحقاتها من الكتب ذات الاطالس والرسومات وغيرها مما لم يسبق له طبع واستعملت فى رسم أشكالها وأطالسها التلامذة لا غير وقد حصل منها الفوائد الجمّة الجومية وكل ذلك كان لا يشغلنى عن التفانى للتلامذة فى ما كلهم ومشرهم وملبسهم وتعليمهم وغير ذلك وكنت أباشر ذلك بنفسى حتى أعلم التلميذ كيف يلبس وكيف يقرأ وكيف يكتب والأخط العلم كيف يلقى الدرس وكيف يؤتب التلامذة ولا يضى يوم الا وأدخل عند كل فرقة وأفقده أحوالها مع التشديد على الضباط

والخدمة حتى الفراشين في القيام بما عليهم كما ينبغي فامتنع بذلك عن التلامذة مضار عجمية ومفاسد كثيرة ولم أكتف بذلك بل رتبته على نفسه دروسا كنت ألقها على التلامذة كالطبيعة والمجارة وألفت في المجارة كتابا بقي متبعا في التعليم بالمدارس وان لم يطبع وبحمد الله نفع مسعانا ونجب كثير من التلامذة وقاموا بمصالح كثيرة وجعل بهم النفع العظيم وترقى جمع منهم الى الرتب العالية وشاع الثناء عليهم في المعارف والآداب وشهدت لهم بالفضل أعمالهم المهمة التي أجروها ولكنهم منهم معرفة باللغة الفرنسية بحيث يجيد التكلم بها لكن فعلوا في أوروبا وخرج منهم معلون متقنون فيها وفي غيرها وكان أمر المدارس كل حين لايزداد الاصلاحا ولا التلامذة الانحلالا ولا المعلون الا اجتهادا وكانت الامتحانات السنوية تشهد بمزيد الاعتناء وحسن الاسلوب ونجاح الطريقة المتبعة وكان ما يحصل للتلامذة ومعلمهم من المكافآت والثناء والتشويق والترغيب داعيا حثينا لهم لزيادة الجهد والاجتهاد وحرصت بين المعلمين مواد المودة والالفة وترتبت الاطفال على الاخوة وغرس فيهم حب التقدم وشرف النفس والعفة حتى وصلت النظارة للاكتفاء في تأديب من خرب منهم أمر بالنصيحة والوهم وانقطع الشتم والسفه وكاد يمتنع الضرب والسجن وبالجملة فكانت أغراضهم أبوية أنظر للجميع من معلم ومتعلم نظر الاب لاولاده وإلى الآن أعتقد أن ذلك واجب على كل راع في رعيته حتى يحصل الغرض من التربية وقد تحقق لي نتيجة ماضفته من الهمة في تزيينهم والشفقة عليهم فانه لما تولى المرحوم سعيد باشا ولاية مصر ورى عنده في المدارس بعض المفسدين بلسان الحسد والقنينة ووصفوها بما ليس له نصيب من الصحة واختلقوا لها معائب لم تكن فيها

كضرائر الحناء قلن لوجهها حسدا وبغضا انه لذييم
حتى أوجب ذلك انفصالها ونعيت للسفر مع العساكر لمحاربة المكروب مع
الدولة

الدولة العلية وذلك في سنة سبعين ومائتين وألف خرج جميع التلامذة كبيرهم وصغيرهم من المدرسة تهرأ عن ضباطهم ووقفوا بساحل البحر أمام السفينة التي نزلت فيها للسفر الى الاسكندرية وجعلوا يكون وينتخبون انتخاب الولد على والده حتى بكت عيني لبكاثهم ولكن انشرح صدرى لمشاهدة غرات غرسمى وآثار تربيتى فحمدت الله ثم سافرت بحية أجد يائسا المناكلى فاقت في هذه السفرة قريبا من سنتين ونصف وقد لطف الله بى وأحسن الى ورد كبد الحاسدين في نحرهم فانى وان فاسيت فيها مشاق الاسفار وما يلحق المجاهدين من الارجاف والاضطرابات والحرمات من المألوفات لكن رأيت بلادا وعوائد كنت أجهلها وعرفت أناسا كنت لأعرفهم واكتسبت فيها معرفة اللغة التركية فانى أقت أربعة أشهر بالقسطنطينية اشتغلت فيها بتعلم تلك اللغة كما انى أقت عشرة شهور في بلاد القريم كان بحال على فيها أمر الماورة بين المسكوب والدولة العثمانية بأمر مجلس العسكرية وأقت ثمانية شهور في بلاد الاناطول أغلبها في مدينة كوتضاه أى (بيت الفضة) لوجود معدن الفضة هناك وهى مدينة علمية على رأس جبل وكان منوطا بى وأنا بها تسهيل سوق العساكر من مدينة ترابزان الواقعة على البحر الاسود الى مدينة ارضروم وكان ذلك في وقت الشتاء وشدة البرد والتج الكثير هناك مع صعوبة ماقها من العقبات ما بين جبال شاهقة وأودية منخفضة فقاسيت من ذلك شدائد مهمة وأهوالا مدلهمة وكنت أباشركل فرقة في سلوكها بنفسى لايهيننى غير خادى وجمعت المصاين بالبرد وجعلت لهم استنالية بمدينة (كوتضاه) وهيات مفروشاتها ولوازمها بعضها بالشراء والبعض من طرف أهالى المدينة ولاشتغال الحكماء بالالايات استعملت في مباشرة المرضى رجلا ميكال المام بالحكمة وسلوكا في المعالجة عادات أهل تلك الجهة فامر ذلك ثمرة عظيمة حتى اذ تهيننا للسفر شهده لى بحسن المسعى أعيان المدينة وأكابرها من القاضى والعلماء

والامراء وكتبوا بذلك مضبطة وضعوا فيها شهادتهم وهي عندي الى الآن
وعليها أيضا ختم خالد باشا مأمور سوق العساكر العثمانية الى غير ذلك من
قوائد الاسفار على ملأها من الاصار وكتب وأنا في المدارس قد لحقني الدين
بسبب ما احتجت اليه في تنظيم بيتي على حسب ما تقتضيه وظيفتي وكذا
ما صرفته على ثلثائة فدان ايعادية أحسن الي بها المرحوم عباس باشا بلا
واسطة فلما سافرت تركت ماهيتي للدين فوقته ولقيصرت على ما كان يصرف
لي من التعيين وقد كفاني مقام بجميع لوازمي وزاد منه ثلثائة جنيه حضرت
بها الى مصر وأيضا فإن رفعتي الذين نشأت معهما كحماد بك وعلى باشا ابراهيم
كانوا قد رفقوا من الخدمة في مدة سفرى فلو بقيت للوقت بهم وما اتفق
لي اني تزوجت قبل سفرى هذا بعد موت زوجتي الاولى بقرينة أجد باشا
طوبسقال وكانت ذات مال وعقار وكانت يتمة غرة بمنزلة الطفل الصغير لا تحسن
التصرف ولا تميز الدرهم من الدينار مع كثرة ايرادها وتعدد أملاكها وكان جميع
أمرها بيد غيرها والسبب في ذلك ان أمها كانت تزوجت برجل يعرف براغب
أفندي فمات عنده الأم وبقيت البنت عنده يتمة صغيرة فتزوج بالمرأة
أخرى فكانت زوجته الجديدة قيمة هذه اليتمة والقاعة بالمرها والكافلة لها
مع راغب أفندي فاتخذتها البنت كأُمها وكانت المرأة لا تظلمها على شئ ولا
تمكها من شئ فلا تقفل ولا تقول الا حسبما تريد منها هذه المرأة فلما دخلت
بها خافت المرأة ومن معها ان أطمع في أموال هذه اليتمة أو أعرفها بحقوقها
فتطالب بها وتزعمها من أيديهم فأساؤا عسرى وبالغوا في إساءتي الى حالة
لا تحتمل وغاية لا تصور حتى ملت وملت بعد أشهر قليلة الى العزلة عنهم
برزوجتي فازداد بالمرأة الخوف من انتزاع ما استودعت عليه من مال هذه اليتمة
فتوسطت بجلبى أفندي الكلشنى الى والده المرحوم عباس باشا ورمى في
عنده حسن باشا المناسترلى وأغراي أغوات السراي حتى داخلني الخوف
واشتد

واشتد بي الكرب واتسعت القضية ودخلت المرأة المذكورة الى سراى
الوالدة المشار اليها بعرضها ل زورته عن لسان زوجتي بالشكاية منى كذبا فلما
وقفت المشار اليها على الحقيقة صدر أمرها بإعطائى زوجتي فعند ذلك
استطلعت الكافلة المذكورة بمعونة جلبي أفسدى وأعوانه وثيقة جردوا فيها
التيمة عن جميع أملاكها وأشهدوا عليها بدين جسم لكافلها ووضعوا عليها
شهادة جماعة من الترك بخط الدرى كاتب المحكمة الكبرى وأنا لا أعلم بشئ
من ذلك ثم أخرجوها لى مجردة ماعليها الا ثيابها مع أثاث قليل فاقنا أياما فى
راحة وكانوا قد دسوا لها من قبل انى أغتربها وأقلها استعانة بذلك على
تجريدتها من أملاكها بإيهاها ان هذا أمر ظاهرى أرادوا به حفظ أموالها
وأملأها من تسلطى عليها وانتزاعى لها فيبقى ذلك عندهم حتى تريده فيكون
لها متى شاءت حين تأمن غائلتى فلما ذهب خوفها وآمن روعها ولم تجد منى
تطلعا لشيئ من ذلك ولا أثر مما خوفوها به أخبرتنى بالحيلة التى جردوها بها
وانها تركت حلها هناك وطلبت منى الاذن فى التوجه اليهم لتأتى به حيث لم
تجد شيأ مما كانت تخافه فقلت لها ان ذلك لا يجدى وهذه حيلة تمت عليك
فلم تسمع ونهبت ورجعت غالية اليدين باكية العينين حزينة آسفة على ماتم
عليها من الحيلة فحملتنى الرأفة على أن أسعى لها فى استخلاص حقها فقدمت
فى ذلك عرضها بصورة الواقعة للرحوم عباس باشا واتسعت القضية ونظرت
فى الدواوين والمجالس ودخل فيها القاضى والمفتى ولما حصص الحق دخل
فيها جلبي أفسدى بالوسائط حتى خوفنى الكفدا بالنسقى الى السودان ان لم
أكف عن هذه القضية وبعد طول النزاع تمتها بالصلح فرجع لها العقارات
والاوقاف وضاع عليها المال وبطل عنها الدين ولم أصل الى هذه النهاية الا
بعد ان طابت فى ذلك من الشدائد والاهوال وبجانب الاحوال مالو وصفته
لطال الشرح واتسع المجال وقد بنيت بيتها من مالى وصرفت عليه نحو ستمائة

كيس وكان موقوفا عليها فأرادت اشتراكى فيه معها فى نظير ما صرفته وكان ذلك لها يعقضى شرط الواقف فقبلت ودخلت معها فى الوقفية وكتبت الوثيقة بمحض من العلماء والامراء والاعيان فلما سكنت فى الاستانة دخلت عليها كافتها بالمقدم ذكرها وقالت لها ان الرمل أخبر بان زوجك يموت فى سفره وصدق على ذلك جماعة من حواشيها وحسنوا لها ابطال الحجة المتضمنة حصتي فى وقفية البيت ثم لاذوا بجماعة من أصحابنا الذين لنا عليهم المعروف ليشهدوا لهم بان الحجة مضرورة وان التى تطلقت يوم كتب الحجة انما هى أختي تثلث بها فظنوها اياها وجاها على ان كتبت فى عرضا يتضمن انى اخذت أموالها ومتاعها ثم أرسلوه الى ابن عمها فى الاستانة وكنت معه فى محل واحد فأرانيه فقرأته وأخذت نسخته وسلمته اليه وقلت لإمرة الآن فى المنازعة هنا فاحفظه عندك حتى نعود الى مصر وهناك تظهر الحقيقة فان مت قبل ذلك فلها جميع ما يورث عنى فلما رجعنا الى مصر عقبتنا لذلك مجلسا حضره كاتب المحكمة والشهود وجع من أعيان العلماء وجرى الحساب وهى حاضرة فى المجلس فثبت لى عليها مائة وخمسة وعشرون ألف قرش على ديوانية غير ستمائة كيس التى صرفتها فى عمارة البيت فبعد ثبوت حقي وظهوره تنازلت فى المجلس عن جميع ذلك ولم آخذ الا وثيقة من أهل هذا المجلس بجميع ما حصل وبإثبات تنازلى بعد الثبوت ثم بعد أيام قلائل تركتها وخرجت من البيت ولم آخذ منه شيأ حتى تركت جوارى اللاتي كن فى ملكى وطهرت نفسى مما نسبته الى أهل البيت وأرحمت نفسى من تلك الوسوس والهواجس

ثم بعد عودنا من هذا السفر الطويل خلى سبيل العساكر ولحقوا ببلادهم ورفت كثير من الضباط فكنت عن رفت وسكنت فى بيت صغير بالاجرة مع أخ لى كنت تركته فى المدرسة عند السفر مع ابن أخ آخر ليرى فيها فطردا منها بعد سفرى ولم يعطف عليهما أحد ممن كنت أساعدهم فى مدة نظارنى ولم

تحصل الشفقة عليهما الا من سليمان باشا القرنساوى فانه أدخلهما في مكتب
كان أنشاء بمصر العتيقة على نفقته وشملهما برأقه ثم غرق ابن أخى في البحر
وبقى أخى الى ان جئت فالتحق بي فكانت طالتي بعد سبع سنين مضت من
عودتى من بلاد أوروبا كحالتى عند عودى منها وذهب ملايتيه من الاموال
والمناصب والوظائف وجميع ما كسبت يداى ولم يبق بالخاطر غير ما فعل
الناس معى من خير وشر وما أكسبني الزمان من صدماته وغرائب تقلباته حتى
حلا لي التحلى عن الحكومة وخدمتها وغمضت طرفي عن التطلع للوظائف
والمناصب وعزمت على الرجوع الى بلدى والاقامة بالريف والاستغفال
بالزرع والتعيش من جابه وترك الاشتغال بالقليل والقال وقلت عوضنا الله
خيلا في نتائج الفكر وغرات المعارف ولنفرض انا ما فرضنا البلد ولا خرجنا منها
وبينما أنا أتجهز للسفر الى البلد على هذه النية صدر أمر بان جميع
الضباط المرفوقين بمحضرون بالقلعة للفرز خضروا وكن المنوط بالفرز أدهم باشا
واسماعيل باشا الفريق وحلة من الامراء فكان أهم ما يعتنون به معرفة عمر
الانسان وكانوا يعرفون السن بالنظر الى السن فهالتى هذا الامر وثقل على
ووددت أن لا أكون طلبت فلما وصلنى الفرز عافيتى من ذلك أدهم باشا
لسابق معرفته بي وكتب في المختارين للخدمة فتعطلت عن السفر وبعد قليل
تبعنت معاونا بديوان الجهادية وأحيل على النظر في القضايا المتأخرة المتعلقة
بالورش والجبهات وغيرها من ملحقات الجهادية وألحقوا بي كاتباً فاشتغلت
بها زمنا وأتممتا جلة منها.

وفي ذات يوم كان اسماعيل باشا الفريق ناظر الديوان اذذاك مشتغلا برسم بعض
المناورات العسكرية فلم يحسن ذلك وتخير في اتمامها فدعاني فرسمتها في عدة أفرخ من
الورق على الوجه اللائق فوقع عنده ذلك موقعا حسنا وأثنى على ووعدني بذكرى بخير
عند المرحوم سعيد باشا وطلب منى وضع اسمى على الرسم فقلت عافيتى عن ذلك ولا

تذكرني هذه فاراتي ان في ذلك فوائد جمة وانه عين الصواب ثم لما عرض الرسم عليه
وتكلم معه بما تكلم امره بإبطال التحقيق وحفظ القضايا بالدفترخانه والحقاق
بمستودعي الداخلية فبقيت كذلك زمنا قليلا وكان يحال على بعض القضايا ثم
دعيت الى وكالة مجلس التجار فالت فيه شهرين وكان سلقى فيه رجلا من
الارمن له سند قوى سهل له به الوصول الى المرحوم سعيد باشا فرى في عما
رى فرفضت من هذه الوظيفة وتأسفت لرفعي التجار البلديون لما رأوه من
البت في القضايا على وجه الحق فالت في بيتي نحو ثلاثة أشهر ثم تعينت
بمفتش هندسة نصف الوجه القبلي فالت فيه نحو شهرين ثم خلفني في ذلك
على باشا ابراهيم ثم دعاني المرحوم سعيد باشا لعل رسم لاستحكامات أبي حماد
ودعا على باشا ابراهيم للكشف على الجانب الغربي من النيل الى أصوان
فاشغلنا بذلك مدة بلا ماهية ولما تمت الرسم ذهب اليه لعرض الرسم عليه
وكان في ظرا فلم يتمكن من ذلك وصرت أتردد على طرا أياما لهذا القصد فلم
يتيسر ثم قام الى قصر النيل فتحدثت على ذلك الموضوع أيضا فلم يتم المقصود ثم
قام الى الاسكندرية فعبثت في أمري اذ كان لا يثبت في مكان ولم يتيسر لي
عرض نتيجة المأمورية عليه فالتزمت الإقامة بمصر حتى أتمكن من لقائه
وطالت المدة وفرغ المصروف ثم قدم الى مصر فذهبت اليه فلم أتمكن من
الدخول اليه فقال لي مأمور التشريرات كن معنا على الدوام لعلك تجد فرصة
في وقت من الاوقات تتمكن منه وحضر على باشا ابراهيم أيضا فاصطحبنا
ولازمنا معيته في السفر ثلاثة أشهر بلا ماهية ولا شغل مع كثرة التنقلات من
بلد الى بلد ومن موضع الى آخر ثم لما كان ذات يوم في الجيزة وقع نظره على
فتاداني وكنتي وسألني عما صنعت في الرسم فقلت له فنظر فيه قليلا ثم قال
ابقه حتى نجد وقتا لامعان النظر فيه ثم لم يلتفت اليه بعد ذلك ولكن ربطت
لي ماهية وبقيت في معيته زمنا بلا شغل الى ان كآمة عريوط وكان معنا

المرحوم أذهب باشا فأخبرني أنه صدر له الأمر بتزيت معلمين لتعليم الضباط وصف الضباط القراءة والكتابة والحساب وسألني عن يليق للقيام بهذا الأمر فعرضت نفسي لذلك فظن اني أهزل لأعتقد أنه ترفي عن هذه الخدمة وقال أرضى أن تكون معلما لهؤلاء فقلت كيف لأرغب انتهاء فرصة تعليم أبناء الوطن ويث فوائد العلوم فقد كما مبتدئين تعلم الهجاء ثم وصلنا الى ماوصلنا إليه فلما عرض ذلك على المرحوم أحال على تعليمهم فاصعبت معي اثنين من الافندية ورثيت مواد التعليم والطريقة التي يلزم اتباعها وشرعنا في التعليم فكنيت أكتب لهم حروف الهجاء بيدي ولعدم الثبات في مكان واحد كنيت أذهب اليهم في خيامهم وتارة يكون التعليم بقطيعة الحروف على الارض وتارة بالتميم على بلاط الخلات حتى صار لبعضهم الملم بالخط وعرفوا قواعد الحساب الاساسية فجعلت نجباهم عرطاء استعنت بهم على تعليم الآخرين فازداد التعليم واتسعت دائرته واستعملت لهم في تعليم مهمات القواعد الهندسية اللازمة للعساكر الجبل والعصا لاغير فكنيت اذا أردت توقيفهم على عملية تقدير الابعاد وتعيين النقط واستقامة الخلاء أجرى ذلك لهم علما على الارض وأبين لهم فوائده وغرائه النظرية فكان يثبت في أذهانهم حتى ان بعضهم كان يجريه أمامي في الحال بلا صعوبة ووضعت في ذلك كتابا مختصرا جمعت فيه اللازم من الحساب والهندسة وطرق الاستكشافات العسكرية وسميته قريب الهندسة وطبع على مطبعة الجرافات فبعه كثير من الناس خصوصا في الالابات وتكرر طبعه وكنيت جمعت أيضا جزءا فيما يلزم معرفته للضباط من فن الاستحكامات وسوق الجيوش وترتيبها وكيفية المحاربين ونحو ذلك ولكنه لم يتم ولم يطبع وقد ضاع مني وكنيت في أوقات الفراغ أشغل الزمن بالطالعة وأكتب تعليقات أستعملها في ورقات جمعها بعد ذلك فصارت كتابا مفيدا في فنون شتى مما يحتاج اليه المهندسون وبقي عندي

الى ان اطلع عليه بعض معلمى الرضاة فى المدارس الملكية وغيرهم أيام نظاروق عليها
فى مدة الحكومة الخديوية الامم اعيلية فرغبوا فى طبعه فطبع بطبعة المدارس
وسمى تذكرة المهندسين وكان المباشر لمقابلته وطبعه أولا السيد أحمد أفندى
خليل ناظر مدرسة المحاسبة يومئذ وبعده على أفندى الدرندل أحد خوجات
المهندسة الى أن تم طبعه وهكذا كانت جميع أوقات مشغولة بامثال ذلك
وبعض مأموريات كانت تعال على ثم لما رام المرحوم سعيد باشا التوجه الى
بلاد أوروبا أمر برفق غالى من كان فى معيته فكنت فى جملة المرفوقين وكنت
قبل وفقى تزوجت واشتريت بيتا بدرب الجاميز وشرعت فى بنائه وتعميره فكفر
على المصروف ولحقنى الذين حتى ضاق ذرى وتشتوش طبعى وكان يومئذ قد
منز الامر ببيع بعض أشياء من تعلقات الحكومة زائدة عن الحاجة من
عقارات وغيرها وكان المأمور بذلك المرحوم امم اعيل باشا الفريق وكان لى
من المجهين ويكسنت جاره فى السكنى فاستعجبتى معه الى بولاق وخلافها من
محلات البيع فلما حضرت المزادات رأيت الاشياء تباع بالجنس الاثمان ورأيت
ما كن لمدرسة المهندسة من اللوازم والاشياء الثمينة العظيمة وفى جملة
الكسب التى كنت طبعها وغيرها تباع بتراب الفلوس وكذا أشياء كثيرة من
نحو آلات الحديد والتماس والرصاص والعقارات والفضيات والمرايات
والساعات والمفروشات وغير ذلك وليتها كانت تباع بالنقد الحال بل كانت
الاعثمان تؤجل بالآجال البعيدة وبعضها بأوراق الماهيات ونحو ذلك من أنواع
التسهيل على المشتري فكان التجار يرجحون فيها أرباحا جمة فلبطالى واستدانى
وكثرة مضرى مالت نفسى للشراء من هذه الاشياء والدخول فى التجارة ففعلت
وعاملت التجار وعرفتهم وعرفونى وكثر منى الشراء والبيع فزبحت واستعنت
بذلك على المصروف واداء بعض الحقوق واستمر منى ذلك نحو الشهرين فازدادت
عندى دواعى التجارة وصارت هى مطمح نظرى وقصرت عليها فكبرنى خصوصا

لما تقرر عندى من اضطراب الاحوال وتقلبات الامور التى سكادت ان
تذهب منى ثمرات المعارف والاسفار بحيث كلما تقدمت فى العمر وكثرت العيال
كنت أرى التقهقر ونفاد ما استعوزت عليه فاسترت حرفة التجارة على حرفتى
الاصلية وصرفت النظر عن الخلعة الاميرية وقام بخاطرى ان أعقد شركة
مع بعض المهندسين المتقاعدين مثلى على أن بنى بيوتا للبيع والتجارة ونستهل فيها
أفكار الهندسة فلم أر من يوافقنى فهممت بالقيام بذلك بنفسى وشرعت فى العمل
ويشأنا فى حوالك هذه الاحوال أروم التوصل من تلك الاحوال اذ
طرق المرحوم سعيد باشا طارق المنون فتوفى فى سنة تسع وسبعين ومائتين
وألف وقام بإعناء الحكومة بعده حضرة الخديوى اسماعيل باشا فالتفتى
بعميته زمنا ثم تعينت لنظارة القناطر الخيرية وكانت الى ذلك العهد لم تقفل
عيونها بالابواب مع أن أبواب بحر الغرب كانت مرتبة من زمن المرحوم سعيد
باشا وصرف عليها مبالغ جسيمة من طرف الحكومة وكان المانع من اقفالها
ما فرده المهندسون من منع ذلك الى أن يحرقى ترميمها وتقويتها لعدم جرمهم
بمئاتها مع اضطراب آرائهم وكان أكثر النبل يمر من بحر الغرب وأخذ فى
التحول عن بحر الشرق حتى كان فى زمن الصيف لا يدخل فى الترع الاخذة
منه الا القليل من الماء وترتب على ذلك قلة زمام المترع الصيفى فى الجهات
التي تسقى من هذا البحر وتطلت بسبب ذلك منافع كثيرة وكان الخديوى كثيرا
ما يتردد الى القناطر الخيرية ويقسم بها فى كل مرة عدة أيام ويعتنى بأمرها
وفى ذات مرة خاطبنى فى شأنها وفيما يلزم اجراء تحويل النبل الى بحر
الشرق الذى عليه أفواه أكثر الترع وعليه مدار ثروة أهالى تلك الجهات
فقلت ان من ألزم الامور وأنفعها فى ذلك ان تقفل قناطر بحر الغرب اذ بذلك
تراجع المياه الى بحر الشرق وتساكن فيه ويحول اليه بعض بحر النيل ولا
يترتب على اقفالها كبير ضرر للقناطر لان ارتفاع الماء وراء السد لا يكون

كبيراً لانحدار النيل الى بحر الشرق فلا يحصل من ضغطه القناطر تأثيرين مع أن المهندسين الذين رأوا منع اغلاقها لم يجزموا بحصول الخلل وانما ذلك على سبيل الظن فباغلاقها تظهر الحقيقة وي زال الشك فاذا حصل منه خلل وصار معلوماً تدبر الحكومة في تداركه وان لم يحصل حصل المقصود من تكاثر المياه في بحر الشرق الذي عليه مدار الزراعة الصيفية والمنافع العمومية ولا يترك نفع محقق لضرر متوهم يمكن تداركه فاستحسن مني ذلك ورآه صواباً ورخص في اقفالها فصارت تقفل وحصل من ذلك مالا يزيد عليه من المنافع العمومية وأما الخلل الذي كان متوقعا حصوله فانه ظهر في بعض العيون الغربية القريبة من البر الغربي فجعل عليها جسرا من الخشب أحاط بها قنطرة حولها جزيرة من الرمل حفظتها فلم يكن خللها مانعا من اقفالها كل سنة ثم لحضر رباح المنوفية أحيل على في مدة تقارن عمل قناطره ومبانيه فاجرت على ما هي عليه الآن وفي سنة اثنين وعشرين اختارني للنيابة عن الحكومة المصرية في المجلس الذي تشكل لتقدير الاراضي التي هي حق شركة خليج السويس على مقتضى القرار المحكوم به من طرف امبراطور فرانسا وكان المعين نائباً من طرف الدولة العلية حضرة سرور أفندي وكذا كان لكل من الحكومة الفرنسية والشركة المذكورة نائب فتوجهنا للرور على الخليج فررنا من السويس الى بورت سعيد وبعد المذاكرات والمناولات عملت الرسوم اللازمة وتحرر بذلك القرار وتمت المسألة على أحسن حال وأحسن الى بعد اتمامها برتبة التمايز وأعطيت النيشان المجيدى من الدرجة الثالثة وبعث الى من طرف الدولة الفرنسية بنيشان (أوفيسيه ليتريون دونور) وفي شهر جمادى الآخرة من سنة أربع وعشرين أحيلت الى وكالة ديوان المدارس تحت رئاسة شريف باشا مع بقاء نظارة القناطر الخيرية وبعد قليل انتدبني الخديوى اسماعيل للفر الى باريس في مسألة تخص المالية فكانت مدة غيابي ذهاباً

وايأيا واقامتى بها خمسة وأربعين يوما وكانت سفرة مفيدة اغتنت فيها فرصة الاطلاع على ما بهذه المدينة وقتئذ من المدارس والمكاتب الجسة واستعودت على فهارس تعليماتهم والاطلاع على كتبهم المطبوعة هناك وتقرجت على مجاريها العمومية المعدة لقذف القاذورات والسانلات بها وهى عبارة عن مبان متسعة عظيمة الارتفاع تحت شوارع المدينة معقودة من أعلاها يتوصل اليها بسلام فى فتحات مخصوصة فى الشوارع يدخل منها النور والهواوى فى جنبها حوالى الجرى مصطبتان تمشى عليهما الشغالة والفعلة وينصب فى الجرى قاذورات المراحيض والمطابخ وغيرها وماء الامطار ونحوها بكيفية مدبرة بحيث لا يشم لها رائحة مع كثرة ما يسيل فيها وقد ركبنا صندلا يسير فى ذلك الجرى معدا لتنظيف الجرى وقتئذ مابه من المواد التى تعطل جري الماء وذلك انه مصنوع بقدر الجرى وبه جرافة من أمامه ودولاب فاذا أرادوا تسيره يدبرون الدولاب فيخط الصندل نحو القاع بقدر ما يريدون فيرتفع الماء خلفه زيادة عن الامام مع الانحدار الاصلى للجبرى فيندفع الصندل مسرعا فى السير فيطرده أمامه كل ما لاقاه وجميع هذه المواد تندفق فى نهر السين المار فى المدينة فى محل بعيد جدا عن المساكن فبالهذا العمل من عمل نافع تخلصت به المدينة من مياه الامطار الغزيرة الواردة عليها فى زمن الشتاء مع التخلص من القاذورات والروائح الكريهة التى لا تتخلو منها الامصار لاسيما المدن الكبيرة ثم بعد قليل من عودتى أحسن الى فى سنة خمس وعشرين برتبة ميرميران وأحيلت الى عهدى ادارة السكك الحديدية المصرية وادارة ديوان المدارس وادارة ديوان الاشغال العمومية وفى شهر شوال من تلك السنة انضم الى ذلك نظارة عموم الاوقاف بكل ذلك مع بقاء نظارة القناطر الخيرية والتلقى برجال المعية فبقلت جهدى وثمرت عن مساعد جسدى فى مباشرة تلك المصالح ففقت بواجباتها ولسبب اتساع ديوان السكة الحديدية

وكثرة أشغاله كنت أذهب اليه من بعد الظهر الى الغروب للنظر فيما يتعلق به وقد أجريت في تنظيم السكة ومحطاتها ما ذكرت بعضه في الكلام على الاسكندرية فأنظره وجعلت من الصبح الى الظهر لباقي الصالح وكنت قد تحصلت على الاذن بنقل المدارس من العباسية الى القاهرة رفقا بالتلامذة وأهلهم لما كان يلحقهم في الذهاب الى العباسية من المشاق والمصرف الزائد فاحسن الى المدارس بسرأى درب الجواميز التي كانت قد اشترت من المرجوم مصطفى باشا فاضل فنقلت اليها التلامذة وأجريت فيها تصليحات لازمة لصالح وجعل السلامك للديوان ووضعت كل مدرسة في جهة من السراى وجعل بها أيضا ديوان الأوقاف وديوان الاشغال فسهل على القيام بها وكانت كثرة أشغالي لاتسغني عن الالتفات الى ما يتعلق باحوال التلامذة والمعلمين فكنت كل يوم أدخل عندهم بكرة وعشيا عند غدوى من البيت ورواحي وأعلمت فسكرى فيما يحصل به نشر المعارف وجسن التربية وكانت المكاتب الاجلية في المدن والارياق جارية على العادة القديمة ليس فيها على قلة أهلها الا تعليم القرآن الشريف وأقل من القليل من يقيمهم ويحفظه ويجوده ويحسن قراءته مع رداء الخط في عامة المكاتب المذكورة فاستحسن ايجرائها على نسق المدارس المنتظمة فحررت لائحة لتنظيمها وترتيبها على الوجه الذي هي عليه ودعوت الى النظر في هذا الترتيب جماعة من أعلام العلماء والاعيان انتهاء فنظروا فيه واستحسنوه ووضعوا خطوطهم عليه وصدر الامر الخديوى بالاجراء على حسبه ورتب مفتشون لرعاية العمل بموجبه وأنشأت مدارس مركزية في بعض مدن القطر كاسيوط والمنيا وبنى سويف وبها وانتخب لكل منها المعلمون والضباط وعين لها سائر الخدمة ورتبت بها أدوات التعليم ورغب الناس في تعليم أولادهم بها وكنزت فيها الاطفال وأنشأ في القاهرة والاسكندرية بعض مكاتب على هذا الاسلوب مثل مكبى القرية أحدهما

للبنات والاخر للاطفال الذكور ومكتب الجمالية ومكتب باب الشعرية
ومكتب البنات بالنيوفية ولأجل استفادة الاوقاف وتكثير ايرادها مع تخفيف
المصرف على الحكومة كان بناء هذه المكاتب في عقارات الاوقاف وعلى
طرفها وربط لها على المكاتب ايجار يدخل خزينة الاوقاف وأجريت الاملاحة
اللازمة في المكاتب القديمة فغيرت بعض مبانيها وأوضاعها الاصلية الى حالة
تصلح لما صارت اليه المكاتب من النظام وترتبت لها النظار والمعلون وأدوات
التعليم ونحو ذلك وجعلت المصاريف اللازمة للدارس والمكاتب جارية على
وجهه يستوجب انتظامها مع خضة المصرف على الدوان بفعل على أهالي
التلامذة المقترعين ثنى من النقود يؤخذ منهم برغبتهم كل شهر على حسب
اقتدارهم من غير ثقل عليهم استعمال لقلوبهم واستدعاء لرغبتهم وجعل لذلك
استمارة حفظت في المدارس وفي كل مكتب وباقي المصروف يصرف من
حاصلات الاوقاف الخيرية الموقوفة على المكاتب وغيرها من وجوه الخيرات
والبرات وأطيان الوادى بديرية الشرقية وكان قد أحسن على المكاتب الاهلية
بهذه الاطيان وبعض أملاك آلت الى بيت المال عن بعض التركات فكان
من هذه الموارد يصرف كل مايلزم لهذه المكاتب بعد الايرادات الجزئية
المتصلة من ذوى الاقتدار من أهل التلامذة وكان القصد تعويد الناس على
الصرف على أولادهم بالتدريج شيئاً فشيئاً حتى لا يبق مع توالى الزمان على
الحكومة الا مايتخص بالمدارس الخصوصية كالمهندسة والطب والادارة
ونحوها وأما باقى المدارس فيكون الصرف عليها من الاهالى والاوقاف والاملاك
المذكورة اذ بذلك تدوم الرغبة وتتسع دائرة التعليم وقد تأسس هذا المشروع
وتبنت ومرت فيه الى ان انفصلت عن المدارس وحصلت منه نتائج حسنة وخرج
من التلامذة الذين تربوا بالمدارس فى مدتنا جم غفير توظفوا بالوظائف المبرية
السريفة ملكية وحرية وانتفعوا وانتفع بهم ثم لأجل تسهيل التعليم على

المعلمين والمعلمين وصون ما تعلموه عن الذهاب جعل بالمدارس مطبعة حروف ومطبعة حجر لطبع كل ما يلزم من الكتب وأمسق الخط والرسم وغير ذلك وحيث كان من أهم ما يلزم للدارس الاستقبال على معلمين مستعدين للقيام بسائر وظائف التعليم أعمت النظر في هذا الأمر المهم واستحدثت مدرسة دار العلوم بعد استصدار الأمر بها وجعلتها خاصة لطلبة بقدر الكفاية يؤخذون من الجامع الأزهر عن تلقوا فيه بعض الكتب في العربية والفقه بعد حفظ القرآن الشريف ليتعلموا بهذه المدرسة بعض الفنون المفقودة من الأزهر مثل الحساب والهندسة والطبيعة والجغرافيا والتاريخ والخط مع فنون الأزهر من عربية وتفسير وحديث وفقه على مذهب أبي حنيفة النعمان وجعل لهم مرتب شهري يستعينون به على الكسوة وغيرها من النفقات ورتب لهم طعام في النهار للتذوق وجعل الصرف عليهم من طرف الاوقاف ورتب لهم من لزم من المعلمين من المشايخ العلماء وغيرهم ليقوموا بأمر تعليمهم وتدريبهم حتى يتمكنوا من هذه الفنون فينتفعوا وينفعوا ويجعل منهم معلون في المكاتب الاهلية بالقاهرة وغيرها لتعليم العربية والخط ونحو ذلك فلما أشيع هذا الأمر وأعلن حضر كثير من نجباء طلبة العلم بالأزهر يطلبون الانتظام في هذا السلك فاختبر منهم بالامتحان جماعة على قدر المطالب وصاروا في التصيل فحصلوا وأتم ذلك المسعى وخرج منهم معلون في القاهرة وغيرها وحصل النفع بهم ولهم وأما المعلمون في غير العربية كالهندسة والحساب واللغات ونحو ذلك فتقرر أن يكونوا من نجباء التلامذة المتقدمين الذين آتوا دروس المدارس العالية كالهندسة والحاسبة والادارة بأن يجعلوا أولا معيدين لدروس المعلمين زمنا ثم يكونوا معلمين استقلالاً بالمدارس والكتب كل على حسب استعداده سوى من يؤخذ الى غير المدارس من مصالح الحكومة وقرر ذلك وعلم بينهم فرغبت التلامذة في التعلم واجتهدوا وحرصوا على التقدم وتحصلوا على مهمات الفنون وتمكنت

وتمكنك الحكومة من توسعة دائرة التعليم بلا كبير تصرفات لما يمكن بمصر دار كتب
جامعة عامة يرجع اليها العلون للاستعانة على التعليم كما في مدارس البلاد
الاجنبية أنشأ محل بجوار المدارس من داخل سراى درب الجمال المذكورة
لهذا الغرض وصرف عليه من مروط المدارس نخاء محلا متسعا يزيد عن لوازم
المدارس من الكتب وأدوات التعليم وقد كان الخديوى اسماعيل يرغب في
انشاء كتبخانة عمومية تجمع الكتب المنفرقة في الجهات الميرية وجهات الاوقاف
في المساجد ونحوها وأمرنى بالنظر في ذلك فوصفت له المحل الذى أنشأ فعين
لمعاينته جماعة من الامراء والعلماء فاستحسنوه ووجدوه فوق المرام فصدر
الامر بان تجمع فيه الكتب المنفرقة فجمعت من كل جهة وجعل لها ناظر
وخدمة وترتب لها مغير من علماء الازهر لمباشرة الكتب العربية وآخر
لمباشرة الكتب التركية ونظمت لها لائحة صارت نشرها تؤذن باباحة الانتفاع
بها للطلابين وسهولة التناول للراغبين مع الصيانة لها وعدم التقريط فيها
فجاءت بحمد الله من أنفع الانشاءات وأتى عليها الخاص والعام من الاهلين
والاغراب اذ تخلصت بها الكتب من أيدي الضياع ونظرت الإطعام فانها
كانت تحت تصرف نظاراً كثرةم يجهلون قيمتها ولا يحسنون التصرف فيها ولا
يقومون بواجباتها بل أهملوها وتركوها فسقط عليها عوارض متنوعة ألفت
كثيرا منها حتى صار السالم من الضياع محظرا بعضه بأكل الارض وبعضه بأكل
الارضة وزاد ان تصرفوا في أجودها بالبيع للأغراب بشئ محض وحرموا
الاهلين من الانتفاع بها وبعضها يحجر عليه فلا يتممكن أحد من النظر
اليه فقلصت من ذلك فضلا عن صونها من هذه العوارض ونظافتها ونظافة
أماكنها وحسن ترتيبها كل فن على حدته وجعل بها محل للإطلاع على الكتب
والمطالعة والمراجعة فيها والنسخ والنقل فيها ورتب فيه مايلزم للكتابة من
الادوات بحيث يتيسر بهذا الموضع لكل من شاء غرضه من ذلك متى شاء

وأمكن الاطلاع على خطوط الملوك والمؤلفين والعلماء والمتقدمين ومشاهير الخطاطين كبن مقله وغيره مما كان يسمع به الانسان ولا يراه أولا يسمع به وأخذت بعد انشائها واقتراحها في تكميل الناقص من الكتب وتجديد شراء كل ما يستحسن وأمكن تحصيله مما ليس موجودا بها من الكتب ومضى على هذه الطريقة ككل من رضىها ورأى انعام الفائدة بها بمن قولوا على نظارة المدارس والادوات بين مكثرومقل ولا أجل انعام الفائدة ألحقت بهذا المحل محل للآلات الطبيعية وغيرها من آلات العلوم الرياضية اللازمة للدارس وصرف لمشتري تلك الآلات نحو أربعة آلاف جنيه ويخضع ذلك سهل على التلاميذ والمعلمين السير في طرق التقدم وتقييد لديهم شوارد الفنون وتمكنوا منها بالمعائنة والتمرن على استعمال تلك الآلات واجتلاء المعقول في صورة المحسوس فتعاوض الفكر والنظر والعلم والعمل ثم انه قد حصل من انضمام الادوات للدارس مساعدة كل منهما للآخر مساعدة كلية اذ صار امر التعليم في المكاتب ملحوظا بعين المدارس فكان مبرهنا في التعليم والتنبيهات والامتحانات السنوية وغيرها سواء يتيسر لمن أكلوا دروسهم الابتدائية في مكاتب الادوات والمكاتب الاهلية المنتظمة دخول المدرسة التجهيزية والتدرج منها الى المدارس العالية وبذلك صار يؤخذ منهم بالرغبة والاهلية ككل فئة عديد كما يؤخذ من تلامذة المدارس الابتدائية الاميرية وأجبت المدارس كثيرا من عقارات الادوات المدرسة وانتفعت بها كما مررت الاشارة الى ذلك وكمن أهل خير في الزمن السابق كانوا قد أنشأوا مدارس بالمحروسة والاسكندرية وكثير من مدن القطر للتعليم والتربية حسنة لله تعالى ووفقوا عليها أوقافا خيرية جمة يصرف عليها ريعها رغبة في نشر العلوم وعود الفوائد على عموم الناس بل كثير منهم ألحق بذلك خزان كتب شاملة لما يحتاج اليه في التعليم ولكن لموء تصرف نظارها انحرفت عن

الصراط المستقيم صراط الواقفين الراغبين في الخيريات وصار ما يسلم من الهدم والتجريب يستعمل أكثره في أغراض أخرى والمستعمل في الغرض الاصل على قلة لا يستوفي في سيره شروط الواقف وحسب اللزوم وساء حال التعليم في المكتاب الحاصلة وقل العلون والمتعلون وصار اجتماع الاطفال والمتعلمين بهذه الاماكن قليل النفع بحيث كان لا يفيدهم الا الضياع والامراض الناشئة عن الوساخة والتفريط فحصل رجوع كثير من هذه العمار الى أصلها المقصود منها والفائدة الموضوعة لها وانضمت الى ديوان الاوقاف الجوى لتتكون ادارتها تحت نظره مشمولة بمناظرة ديوان المعارف وترتيبه فقلص من اطماع النظار وحصل لهم ما يحتاج الى الاصلاح من المدارس ومن أوقافها التي يأتي منها الربح وانتزع ما استولت عليه الايدي من غير استحقاق فانضبط أمرها وايرادها بحيث هذه المآثر بعد موتها وعادت ثمراتها بعد فوتها ثم ان هذا النظر لم يكن قاصرا على المدارس وأوقافها بل حصل الالتفات لجميع الاوقاف من التكايا والمساجد وغيرها بالاصلاح والتجديد وكان ما بالاقليم من الاوقاف من أطيان وعقارات على كثرته غير ملتفت اليه فكان السام من التلف من الإسياسة ونحوها مستغلا في غير وجهه تحت أيدي غير مستقيمة فانتهب لها من طرف الاوقاف مأمورون من المهندسين الذين تعلموا في المدارس وأرسلوا الى الاقليم للنظر في أمر الاوقاف وضبطها ومعرفة ريعها وما يلزم لها من الممارات وتحصيل ايراداتها وملاحظة مصروفاتها وجعل المندوبون للوجه البحري تابعين في ادارتهم للأمورية طندنا والمعينون في الوجه القبلي يخاطبون من الديوان فبسطوها وحرروا جداولها وفعل بها ما هو الاصلح لها فانتظم سيرها ونعى ريعها ثم ان الذي كان متبعا في العمار بالسكن الكبيرة كالقاهرة والاسكندرية اجراها على طرف الديوان وكان لها معارية وشغالة وعربات ونحو ذلك بمرتبات جسيمة شهرية ومصاريف كثيرة تزيد عن قيمة ما يحصل فيها

من الانشاء والعمارة فضلا عن عدم الاتقان وكان يحصل من القائمين بلورها
 الإهمال والتفريط فيها وكان مايجرى تغييره في السنة مع عدم اتقانه وكثرة مايصرف
 عليه قليلا بالنسبة للمحتاج للعمارة وكمكان الديوان لايمكن من الحسابات
 السنوية فبقيت عمارات كثيرة لم ينته الامر فيها ولا في حساباتها عدة سنين
 طويلة وكان الذي يعمر منها مع خفة بنائه ورداءة موته يحول من أوضاعه
 الاصلية الحسنة الى أوضاع سيئة فكانت ترى الدور المتسعة والمنازل الكبيرة
 تحولت الى حيشان وربوع يسكنها الكثير من الناس بحيث ضحل فوق
 طاقتها لزعم ولاتها أن في ذلك تكثيرا لريع الوقف مع أنهم كانوا ما يورثونها
 الى التعريب واضاعة ما بها من نحو الاخشاب ولاتها غافلون لا يعرفون الا
 قبض الاجرة فكان مايتلف سنويا من عقارات الاوقاف أكثر مما كان يعمر
 يا ضعاف فبهذا ضررين فحصل الالتفات الى ذلك وعملت الطرق الموجهة
 لعمارة الاوقاف وكثرة ريعها وقلة مصرفها على الديوان فجعل في أعنان القاهرة
 مأمورون من المهندسين وكسبة ومعاونون وصار الجباة تابعين للأمورين وشدت
 عليهم في الالتفات الى مايطب بهم بحيث أن من قرط في أمر يجزى عليه
 مايسفقه فقصوا أعينهم ونصصوا في سيرهم خوفا على أنفسهم فانفعل كثير من
 الاوقاف وحسنت أحوالها ثم من أنفع الاعمال في الاوقاف ما أجرى فيها من ابطال
 جعل ادارة عمارها على طرف الديوان وصارت تعطى بالمقاولة للقاولين بعض
 النظر فيها من مأموري الاعنان وباتمهندس الديوان وعمل رسوماتها اللازمة
 وتقدير نفقاتها الموافقة وجعل لذلك لوائح واستمارات نشرت بينهم جعلت
 قدوة لهم في الاعمال ثم قسمت أراضي الوقف الواسعة الخرية كالتى في جهة
 السيدة زينب وخلفها على الراغبين ينون فيها منازل وحواليت وغير ذلك
 بحكر يقرر عليهم يدفعونه كل سنة للاوقاف وقرر في الإستمارة أن الآخذ
 بالحكر يدفع لخزينته الاوقاف حكر عشر سنين تبرعا منه بحيث لا يحسبها في

المستقبل

المستقبل ثم يدفع الحكر سنويا فأنتنى من ذلك مساكن كثيرا كانت مطرعا للزبل والعفونات والافذار فبعد أن كانت تجلب المضار للناس صارت نافعة تجلب ربحا كثيرا للوقف وتبدلت سياحتها حسنات واستعين بذلك على التنظيم الجارى فى المدن بالإوامر الخديوية لتوسعة الشوارع والمخارات وتقويمها وتجديدها ما يلزم تجديده منها لتكون شوارع المدينة ومبانيها كافية صالحة لاحتوائها الراهنة من اتساع دائرة التجارة والثروة التى اكتسبها القطر اذ بذلك كثرت عربات الركوب وعربات البضائع والعماثر فيها غير لائق بها بقاء الحالة القديعة على حالها من ضيق المخارات والشوارع واعوجاجها اذ كان الازدحام بها يترتب عليه النصب والعطب والخطر والضرر وصدرت الاوامر الخديوية لديوان الاشغال ونحن به بالنظر فى ذلك وان يعمل له قانون يأتى على المرام وكان قبل ذلك رسم القاهرة محولا على فرقة من المهندسين تحت رياسة المرحوم محمود باشا الفلكى فرسموها على ما كانت عليه وبناء على هذا الرسم كتبت الاشارة فوقه بعمل هذه التنظيمات الموجودة بالمدينة المشاهدة للاق مثل شارع محمد على وعيدانه وشوارع الاربكية ومبانيها وما يعاين من الشوارع ونحوها وباب القوق وغير ذلك مما هو بداخل المدينة وخارجها ويجرى العمل على ذلك فظهرت كل هذه المباني الحسنة والشوارع المستقيمة المتسعة المحفوفة بالاشجار الخضرة النصر المستوية للقادمين على المدينة انشراح الصدور والفرح والسرور وأزيل ما كان يجهد البصر من التلال التى كانت تمتد من جهة القبالة الى قرب باب القنوج ثم تبرع الخديوى اسماعيل باشا على الراغبين بمواضع كثيرة فانشأوا بها المباني المشيدة والبساتين الغديدة وناهيك بقصور الانجاء عيلىة ودورها وبساتينها وشوارعها التى بكل الوصف عن محاسن بيجتها وأحسن رونقها ونضرتها وقد كانت أراضها بين خلوات منسعة وتلال مفرقة وبرك مخفضة وغابات معتضة ولم يكن بها صالح

للزراع ومأهول بالناس الا القليل فانهم بها الخديوى بلا مقابل رغبة في العجارة
والنظافة وحسن الهيئة فكم زال بذلك عفونات وقاذورات ومشاق وصعوبات
وزاد في بهجة المدينة واكتسبها نورا على نور ما أحدثته شركة من الافرنج
باذن الخديوى من نشر غاز التنوير بها في سائر شوارعها وضواحيها حتى ذهب
غياهب ظلامها والتفت ليالها بياها ثم لاجل زيادة الأمن والتسهيل على
الخاص والعام صدر أمره بعمل القناطر الحديد المعروفة بالكورى بين قصر
النيل والجزيرة على هذا الوجه البديع وعلت السكك المنتظمة في بر الجزيرة
وحثت بالاثجار وفيرشت بالايجار الدقيقة المختلطة بالرمل لمنع الاتربة وتسهيل
المرور الى العمار والسرايات والبساتين المنشأة هناك التى تجل عن الوصف
كما فعل ذلك في جميع الشوارع المستجدة بالمدينة وضواحيها بشركة من
الافرنج أيضا بعمل وإبور الماء الذى عم جميع جهات المدينة حتى تمتعت
الاهالى بماء النيل بلا كبير عن ولا مشقة وكل ذلك غير الاعمال الجسيمة التى
أجريت في جهات القطر مثل ما تجدد بالاسكندرية وما تجدد بالسويس
من عمل المينا والخوض والمحافظة وشركة الماء وما رسم في المديرينات من عمل
الدواوين والجسور والقناطر والترع التى من أعظمها ترعة ابراهيمية وترعة
الاسماعيلية التى حفرت بالمقاولة فهذه الاعمال جميعها أو أكثرها كنت أبشر
أوامرها من رسومات وشروط مع المقاولين ونحو ذلك لضرورة تعلقها بديوان
الاشغال فكنت في مدة احوال هذه الدواوين على مشغولا بالمصالح الاميرية
وتنفيذ الاغراض الخديوية ليلا ونهارا حتى لا أرى وقتا ألتفت فيه لاحوال
الخاصة بي ولا أدخل بيتي الا ليلا بل وكنت أفكر في الليل فيما يفعل بالتهار
لاسيما وأعمال القنال المالح كانت قد تمت وكان الخديوى قد صمم لتمامها على
عمل مهربان ودعى لذلك كثيرا من ملوك أوروبا وسلاطينها وعظمائها وهذه الحالة
تستدعى استعداد السكك الحديد وعرباتها وتهيئة المدينة لدخولهم فكنت

مع النظر في أحوال تلك الدواوين مشغول التفكير دائم السفر في مصالح هؤلاء المدعويين الى ان انقضى جميع ذلك على أحسن حال وأحسن البنا من طرف الخديوى بالنشأن المجيدى من الرتبة الاولى وأهدى البنا من طرف قرال النمسا نيشان (غرانتوردون) ومن طرف قرال فرنسا نيشان (كاندور) ومن دولة البروسيا نيشان (غرانتوردون) وغير ذلك من النياشين وقد بقيت تلك المصالح تحت يدي الى رمضان سنة ثمان وثمانين ثم انفصلت عن ديوان السكة ثم عن المدارس والاشغال بعد أيام فلانل ثم عن الاوقاف بعد مضي قليل من شوال من تلك السنة وكانت أسباب الانفصال أن ناظر المالية اذ ذاك وهو المرحوم اسمعيل باشا صديقى كان قد رغب أن يضم ايراد السكة الحديدية الى المالية وحصل الكلام بيننا في ذلك فقلت له لامانع وانما يكون الصرف على السكة الحديدية تابعا للمالية حينئذ ولا أكون مسؤولا الا بمجرد اذارتها بشرط أن يصدر أمر الخديوى بذلك حتى لا يعود على سؤال فيما عساه أن يحصل من الضرر فلم يوافق ذلك أغراضه ورى في ما رى فترتب عليه ما ترتب لكننى لم أقم في بينى الا نحو شهرين ثم صدرت الاوامر الخديوية في يوم عيد الاضحى بجعل ناظرا على ديوان المكاتب الاهلية وأمرت بتنظيم ديوانها وعمل رسومات لتجديد مكاتب في مدن الارياق وبلادها كل على حسبه وما يناسبه لعلم الخديوى أن مكاتب الارياق غير مستوفية لدواعى الصحة ولا لشروط النجاح في التعليم فرسخت ذلك وألحقت به تقريرا لبيان ما يلزم اتباعه في جميع المكاتب بحسب الاهمية وكان الغرض عمل النموذج في كل جهة ليعرى البناء على مثله لكن عرضت عوارض أخرت ذلك وفي شهر ربيع الاول سنة تسع وثمانين أحيل على نظر الاوقاف ثانيا وبعد قليل أحيل على نظر ديوان الاشغال فلم يمض الا يسير وتحولت نظارة هذه الدواوين على نجل الخديوى اسمعيل باشا دولتو حسين كامل باشا فبقيت بمجته بوظيفة مستشار وفي جادى

الآخرة سنة تسعين انفصل ديوان الاشغال بنفسه تحت رئاسة المشار اليه وجعلت وكييله وفي شهر شعبان من هذه السنة جعلت عضوا في المجلس الخصوصي وبعد قليل انفصلت عن الخصوصي بسبب ما لاقاه اليه الواشون كاسماعيل باشا صديق وأضرا به من أن كلبنا نخبة الفكر الذي أمرني بتأليفه فيما يتعلق بامر النيل مشتمل على ثم الحكومة الخديوية وتبسيط سياستها فافت في يتي مع جريان الباهية على نحن للمالية ثم في شهر صفر سنة احدى وتسعين جعلت رئيس أشغال الهندسة بديوان الاشغال مذ كان هذا الديوان ملحقا بديوان الجهادية تحت نظارة دولتو حسين باشا المشار اليه ولما انفصل ديوان الاشغال من ديوان الجهادية ألحق بديوان الداخلية تحت نظارة نجله الأكرم الأكبر الجناح التوفيق الخديوي الأنقر وكان اذ ذاك ولي عهد الحكومة الخديوية المصرية وفي سنة اثنين وتسعين جعلت مستشارا بعينه في ديوان الاشغال وفي شهر ذي القعدة من تلك السنة انفصل ديوان الاشغال بنفسه تحت نظارة دولتو ابراهيم باشا نجل المرحوم أحمد باشا فبقيت بعينه مستشارا بهذا الديوان وفي بكرة يوم الاضحي من سنة ثلاث وتسعين غيبت المرافة الخديوي اسمعيل باشا وتهنئة بالعيد الجديد على حسب العادة وكان بمرأى عابدين وقد اجتمعت هناك جميع الامراء والاعيان والمشايخ وأرباب التشرفات لتهنئته وتهنئة أمجلاه على حسب العادة فقابلناه أثر صلاة العيد وهنأناه فاكرمنا بكراماتنا وأنعم على بنينشان مجيدي (غرانقوردون) وبقيت على هذا الحال الى أن ظهر في سنة ١٨٧٦ ميلادية تصور الحكومة عن أداء ما عليها لكثرة ما أصدرته من البونات وما أثقل كاهلها من الديون ذات الارباح الكبيرة حتى أدى ذلك الى الجز على أغلب أملاكها والى تدخل الدول الاجنبية في أمورها وآل الامر الى تعيين لجنة من معلمي الاجانب ذوي خبرة للنظر في المالية وفروعها وجعل في هذه اللجنة دولتو

رياض باشا نائباً من طرف الحكومة المصرية فكان هو الذى عليه العول
فى معرفة الحقائق وتم الامر بتقرير هيئة للحكومة على أسلوب جديد فترتب
فى سنة ١٨٧٧ ميلادية هيئة نظارة يرأسها دولتو نوبار باشا فكانت من
رجالها على ديوانى الاوقاف والمعارف وصدر الديكريته من ليدن الحضرة
الخدوية من منطوقه أنى أريد عوضاً عن الانفراد المتخذ الآن طريقاً فى
الحكومة المصرية أن تكون لهذه الهيئة ادارة عامة على المصالح بمعنى أنى
أروم القيام بالامر من الآن فصاعداً بالاستعانة بمجلس النظارة والاشترائك
معههم فى تسيير المصالح وأن يكون أعضاء مجلس النظارة كل منهم كفيلاً بالاشترار
يتفاوضون فى جميع المهمات ويتداولون الرأى فيها ويقررون ما تستقر عليه
أغلبية الآراء وتصدر قرارات المجلس على حسب الأغلبية وأقررها بالتصديق
عليها ثم ينفذها النظارة بغير العجل بذلك وأخذت هيئة النظارة فى ادارة المصالح
على هذا النمط وشرعت فى تسديد الديون من ايراد البلاد ومن قرضه استدانها
من بنك روتشلد بلوندره وهى ثمانية ملايين ونصف مليون من الجنيه
الانجليزى ورهنت فى ذلك أملاك العائلة الخديوية من أراض زراعية وغيرها
بعد تنازلهم عنها للحكومة وكان مبلغ ايرادها سنوياً أربع مائة ألف وستة
وعشرون ألف جنيه انجليزى وبجعلت لإدارة تلك الاملاك مصلحة مستقلة
عرفت بمصلحة الدومين وفى تلك المدة صرفت مائتى وسبع فى توسيع دائرة
المعارف فشرعت فى بناء بعض المدارس كمدسة طنطا ومدسة المنصورة
وفى تكثير عدد المكاتب وترتيب المدرسين وما يلزم للتعليم من أدوات وكتب
واعنتبت بأمر الاوقاف ونشرت المعاوين للكشف عن الاماكن وبيان المقرب
منها والعامى وما يناسب استبداله وتجديده على حسب ما يعود بالمصلحة على
الاوقاف وبيان الاصقاع ونحو ذلك وكان أكثر مكاتبها متعللاً ما بين فارس
وفاند ثمة التعليم لعدم لياقة المعلمين للتعليم فوجهت المهمة نحوها حتى

ظهرت بالتدرج النتيجة لتعلمين وأهلهم ولما تمت دفاتر الاماكن والمكاتب التي بالمدن والقرى أخذت في انجاز مقتضياتها على حسب نصوص وقوانينها مرعيا في ذلك مافيه المصلحة وما يقره الفتى وكانت هيئة النظارة مساعدة المعارف والاشغال العمومية وكل مافيه التقدم وقد اهتمت بتنظيم أشر الأيراد والمصرف وأبطلت من المغارم ما يبلغ نحو مليونين من الجنيهات ولكن ألجأتها ضرورة الاقتصاد الى إلغاء بعض المصالح وقطع المرتبات الجارية على غير قانون كالانعامات ومرتبات الاشتراطات وتزويل عسدد الجيش العسكرى الى القدر الكافى لاحتياجات البلاد وبذلك أحيل كثير من ضباط العسكارية على المعاش فأساءت هذه الاجراءات ونحوها كثيرا من الناس سيما ضباط العسكر وحصل اللغط بدم الهيئة والتنديد على أعمالها وكثر القال والقليل حتى تجمع كثير من ضباط العسكر حول المالية يطلبون متأخراتهم وجرت منهم أمور تجاوزت حد الادب فنشوشت الافكار داخل القطر وخارجة واضطربت الاحوال ولم يزل الاضطراب يتزايد حتى جعل وسيلة للقول بعدم موافقة هيئة النظارة لحال البلد وانبى على ذلك سقوطها وفى ١٨ من ابريل سنة ١٨٧٩ ميلادية صدر الامر العالى لشريف باشا بترتيب هيئة نظارة تحت رياسته تنقّب من الوطنيين قريتها وعملت لائحة لسداد الدين عرفت باللائحة الوطنية جعلت أكثره فائدة لاضحاب الدين استمالة لهم فلم تنجح المقاصد وكسب القناصل بذلك الى دولهم فلم يرتضوه وانتهى الحال بسقوط تلك النظارة وفى ٢٧ يولييه سنة ١٨٧٩ صدر الامر السلطانى بانفصال الخديوى اسمعيل باشا عن سندا الحكومة المصرية وان يتولاها أكبر أنجاله القائمولى عهد الحكومة المصرية يومئذ الخديوى المعظم الميجل أفندينا محمد باشا توفيق الاول فاخذ رحمه الله بزم الاحكام وقام بالامر أم القيام وفى سنة ١٨٨٠ صدر أمره الكريم الى سعادة دولتو رياض باشا بتشكيل نظارة تحت رياسته

رأسته مقلدا هو نظارة الداخلية فكنت من رجال تلك الهيئة مقلدا بنظارة
الاشغال العمومية وكان اذ ذلك في الحكومة اثنان من طرفي دولتي فرنسا
والانجليز يراقبان أمور المالية وهما موسيو دوبلنيير الفرنساوى والموسيو
نارنج الانجليزى فجعل لهما الحق في حضور جلسات هيئة النظارة وشرعت
النظارة في إدارة المصالح وسن القوانين العادلة وجعل الاموال الاميرية على
أقساط مقررة وأوسعت في معاش المستقدمين وفي عددهم بما يلائم كل
مصلحة واهتمت بكل ما فيه التقدم كامر التربة ومصالح الاشغال حتى بلغت
ميزانية ديوان المعارف ضعف ما كانت عليه وبعد ان كان ديوان الاشغال
قلما يضاف تارة الى ديوان الداخلية وتارة الى غيره وكانت جميع الاعمال
ماعدًا المقاييسات يجريها المقشون والمديرون ونحوهم فيعملون رجال العونة
مبانى وترعا ومساقى على أغراضهم الخاصة بلا فائدة عامة حتى كثرت الخللان
وضاعت بسببها مزارع كثيرة وضاعت المصارف التى عليها مدار اصلاح الارض
فبعد ذلك صار ديوانا مستقلا ملحوظا بعين العناية وبلغت ميزانيته سقانة
ألف جنيه حيث انه الاساس الاعظم للثروة حينئذ تمكنت من اجراء ما يلزم
اجراؤه لتجصيل المنافع العمومية وقسمت أعمال الديوان ثلاثة أقسام قسم
للتحريات والمحاسبة وقسم لاجل التجهيزات لما يلزم تجديده من الاعمال
ويتبعه فرقة مهندسين لاجل الرسومات والموازن وقسم يختص بأعمال القاهرة
ونحوها من مدن القطر وذلك غير الملحقات مثل قلم الزراعة وقلم المصلح
ومصلحة الانجراية وقلم القضاء وقسمت مصلحة الهندسة خمسة أقسام لكل
قسم مفتش وجعلت جميع أعمال الهندسة تحت إدارة وكيل الديوان وانتشر
المهندسون في جميع انحاء القطر لمعاينة ما به من مبان وترع وقناطر وغيرها
فجروا الدفاتر بالموجود من ذلك وما يلزم تجديده أو رمه في كل مديرية وأخذ
الديوان في اجراء الاعمال مقدما المهتم فالا هم ولموافقة حال المالية والاهاى

قسمت الاعمال على عدة سنين فصل رم كثير من القناطر والبراج وتقويتها
 بوضع الدبش أمامها في الحفر التي يخلفها هدير الماء وأحضرت الأخشاب
 اللازمة لتفصيل القناطر عند الاقتضاء وجددت جملة من المباني والقناطر
 النافعة منها بديرية الشرقية قنطرة الزوامل على التربة الاسماعيلية وقنطرة
 الشراوية على النيل والبولاقية وقنطرة أشمون وقنطرة كفر الحمام وهوسات
 الاسماعيلية ورصيف السويس وبلغ مصروف ذلك نحو اثنين وثلاثين ألف جنيه
 غير برارج وقناطر أنشئ بعضها على ذمة الحكومة وبعضها على ذمة المنتفعين
 وأجريت عمارات في المحافظات والمديريات صرف عليها نحو خمسين ألف جنيه
 وضار الابتداء في بناء سخانة القاهرة واستبالية قصر العيني ومدرسة الطب
 وضارت المعقدة مع مصلحة توزيع المياه بالقاهرة على انشاء وابور يوصل الماء
 الى مدينتي حلوان وكانت مفتقرة الى ذلك ونظمت الحمامات التي بها وربت
 لها المهمات اللازمة وجعل لها حكيم ومأمور وزيد في القاهرة عدة فوائس
 الغاز وصار تنظيم بعض شوارعها وفرشها باللاط وعملت عدة مجازير في الشوارع
 المهمة لآخذ مياه الامطار وأوصل الماء الى طريق الجيزة والجزيرة للرش وسقى
 الاشجار ونظم طريق شبرى وبني بأخراها رصيف طوله نحو مائتين وخمسين
 مترا وجدد بالقاهرة ميادين وفساق وأنشئت جنينة الانتيكمانية بيولاقي وبني
 بالاسكندرية سراى البوستان وجعلت التصرف في أمر الري مهندسين خاصة
 بنجملوا لفتح القناطر وسدها أوقافا بحسب الحاجة العمومية ومنع ما كان يحصل
 من الفتح والسد على حسب الاغراض الخاصة ولم تزل الرغبة في تركيب
 الواپورات على الجهار والترع آخذة في الزيادة وكثرت الواپورات جدا حتى
 بلغ عدد المركب منها في الجهات البحرية ألفين وواحد وثمانين وابورا قوتها
 أربعة وعشرون ألفا وخمسمائة وواحد وثمانون حصانا بخاريا منها الثابت على
 النيل مائة وخمسة وأربعون في قوة أربعة آلاف وسبعمائة وواحد وثمانين
 حصانا

حصانا وعلى الخيلان مائتان وواحد في قوة ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة وستين حصانا وغير الثابت على النيل مائتان وستة وعشرون وابورا في قوة ألفين ومائتين وسبعة وعلى الخيلان ألف وخمسمائة وابور وتسعة في قوة ثلاثة عشر ألفا وسبعائة وثمانية وتسعين حصانا ولم تكن الرغبة الى هذا الحد بل كثر طلب الزخص لتركيب وابورات مستعدة والى غاية سنة ٨٠ لم يكن قانون لتركيب تلك الوابورات وترتب على كثرتها حرمان كثير من الاهالى من الانتفاع بمياة تلك الترع سجامع استنواذ اصحاب النقود على ترع الوابوراتهم اما السقي زروعهم أو لبيع الماء لزراع غيرهم وكثر التشكى من ذلك فصار البحث في هذه المسئلة لرفع تلك المظالم وعملت لائحة بخصوص الآلات الرافعة للماء امتنع بها الضرر وهى المستعملة الى الآن وبها انتظم أمر الري وبلغ مقدار الماء بديرية القليوبية في أعظم التعاريق نحو ثمانمائة ألف متر مكعب في اليوم واليسلة منها من الترع خاصة بعد توسعة الباسوسية ستمائة ألف متر وفي مديرية الشرقية ثلاثة ملايين ونصف وفي الدقهلية نحو أربعة ملايين وفي الغربية والمنوفية نحو ثمانية ملايين كل ذلك بعد تقفيل قناطر بحر القرب وتحويل الماء الى بحر الشرق وقد صار الاهتمام بتطهير الترع والخيلان بطريقة لا تمنع من سقى المزروعات بان منع سد أفواه الترع عند التطهير وجعل ابتداءه من آخر كل ترعة بعد تقسيمها وحول كثير من ترع الوجه البحرى من نيلي الى صيفى فتمكنت بلادها من الزراعة الصيفية وعملت في الاقاليم القبلية ترع وجسور لرى الجزائر وأعلى الحيطان وصار الاهتمام الزائد بامر بلاد القيوم وكان أكثرها قد تعطلت زراعتها لان احداث الجفك هناك غير نظام الري القديم وتبدل أكثر النصب القديمة المعدة لتقسيم الماء على البلاد فاجريت النصب القديمة وعدلت الترع والمساقى ووجه اليها ما يلزم من ماء الابراهيمية فزرع هناك نحو خمسة عشر ألف فدان صيفية وصارت

أرضها رواتب وقل بها استعمال السواقي ولما كانت الإبراهيمية قد قطعت
 بزعم بلاد المنيا وحرمت أراضيها من الطمى الذى عليه مدار الخصوبة صار
 الاعتناء بهذه المسألة واستعملت الإبراهيمية فى ملء الخيضان وتكميلها مع
 مايزد إليها من اليوسقى بحيث أرضها وأنصبت وزرع الاهالى بها نحو ثلاثة
 آلاف فدان من القصب الخلو بعد أن كان هذا المصنف والإبراهيمية مختصين
 بالدائرة السنية وزادت زراعة الدرة أضغلف ما كانت عليه وعلت فى
 المديرية قناطر ورياح كثيرة ما بين تجديد ورم وبلغت أعمال المحقر فى تلك
 السنة ما بين تجديد وتطهير اثنين وثلاثين مليوناً ونصف مليون متر مكعب فى
 مائة وثلاثة وخمسين يوماً ونحو النقص فى اليوم متر وتسعة أعشار متر وهو
 أكبر مما كان يعمل فى اليوم قبل ذلك بسبب أن الأعمال مشت على قانون منظم
 مع أن الأضار التى خصصوا على البلاد كانوا أقل من المخصص عليها فى السابق
 بنحو عشرة آلاف نفس وبلغ ما عمل فى السنة فصنت ما قرر عمله فيها مع كثرة
 ما قرر بخلاف ما كان يعمل قبل ذلك كان لا يتطور ونحو ما كان يقرر عمله فى
 السنة وكان المؤمل زيادة انتظام العمل فى المستقبل وما أوجب تخفيف العمل
 لائحة العونة التى تدب لها جلة من أعيان البلاد والحكام وهى المتبعة الى
 الآن من مقتضاها جعل العونة على كل من له قديرة على العمل مع الترخيم
 فى النقص منها بدفع البذل فخلص من العمل ثمانية وخمسون ألف نفس
 وتحصل منها فى السنة نحو ستة وثلاثين ألف جنيه وكان كل سنة يزيد وتجهزت
 سلطة الرى وكل ما يحصل يصرف فى أعمال لازمة وكان تطهير ورياح البصرة سابقاً
 يشتمل فيه نحو عشرين ألف نفس تجمع من سائر مديريات الوجه البحرى
 لقلة أضرار مديرية البصرة ومع ما فى ذلك من الظلم والاجفاف كان لا يحصل
 منه الا على ثمانية آلاف متر مكعب من الماء فى اليوم واليلة وكان التجهيل
 من وابورات العطف مثل ذلك بمصاريف باهظة والتحصي من الجهتين كان

غير كاف لزراع نصف ما يلزم زرع هذه المديرية الواسعة مع أن المنصرف على ذلك سنويا نحو اثنين وعشرين ألف جنيه فلما رأينا ما عليه زراعة المديرية من الانحطاط والتأخر قدمنا لمجلس النظار مشروعا عن تركيب وابورات بضم الخطاطبة وتحسين وابورات المجرودية لتفليس المديرية من هذا الضرر وأنه وبعد لهذا المشروع من بحريه وهو الموسيو باستون المهندسين وشركاؤه فبعد المذاكرة صار قبول هذا المشروع فصار التعاقد مع المهندسين المذكورين وشركائهم على تجديد وابورات على قم ترعة الخطاطبة بتفليس منها يوميا مليون ونصف مليون متر مكعب من الماء وأن يزداد على وابورات العطف ما يلزم زيادته وما يلزم استعباده من القديم ليتفليس على ايراد مليون ونصف آخر وتعملت الشروط اللازمة ومن ضمنها اتمام العمل في سنة واحدة وأن لا يزيد المنصرف في السنة عن أربعة وعشرين ألفا وسبعائة وسبعة وعشرين جنيها وقد رقي العطف ثمن المليون أربعة وعشرون جنيها وفي ترعة الخطاطبة خمسة وعشرون ونصف فقامت تلك الشركة بذلك وبطلت السخرة وقل الاحتياج الى التطهير وكانت الحكومة سابقا تكلف أرطة عسكرية باحضار الدبش اللازم للحافظة على جسر النيل فראى ديوان الاشغال كثرة ما ينصرف على ذلك فابتطل تلك الطريق وجعل توريد الدبش الكافي في عهدة جماعة بشروط عقدها معهم وعمل للتسليم والتسليم استقارة وعين لهذه المصلحة مأمورين من المهندسين فسارت سيرا حسنا وبلغ مقدار ما أحضر الى الجهات في سنة ٨٠ مليونا وأربعمائة قطار يبلغ ثلثمائة وخمسة عشر ألف قيرش باعتبار أن القطار تسعة أنصاف فضة مع أن الذي استخرجته الأرطة وغيرها في سنة ٧٩ كان مائة اثنين وخمسين ألفا وأربعمائة قطار يبلغ ثلثمائة وأربعة وخمسين ألفا وثلثمائة وخمسة عشر قيرشا فانظر الى الوفرة البين مع التسهيل على الناس فضلا عن الحصول على دبش عظيم جيد وهكذا كانت جميع الاعمال قائمة على

قدم السداد وكانت هيئة النظارة سائرة في الطريق الجادة نائرة ألوية العدل
والسوية بين القوى والضعيف والرفيع والوضع فاستوجب ذلك إثارة الحقد
في صدور أرباب الاغراض فقبولوا على هذه الهيئة وطعنوا فيها واختلط كثير
منهم بضباط العسكرية فأوغروا صدورهم وألقوا في آذانهم انهم الاحق
بتعديل القوانين والتصرف في الحكومة حيث انهم أهل الوطن وأصحاب
القوة وحسنوا لهم ما صنع بعضهم من الثورة السابقة التي لم يعاقبوا عليها
فنعصبوا وتمكن منهم الفرور وكان رئيسهم أحمد عرابي أحد أمراء الايلات
وقنذ فاستمال سائرهم وعاقدهم على مضادة الحكومة وتقدم من رؤسائهم
المجلس النظار عرضا ليطلبون فيه تغيير ناظر الجهادية عثمان بإشراق
وتشكيل مجلس نواب وغير ذلك مما يخرج عن حدود وظائفهم فانعقد لذلك
مجلس النظار تحت رئاسة المرحوم الخديوي توفيق وانحط الرأي على عقد مجلس من
الاهليين وبعض أمراء العسكرية للنظر في أمرهم والجنكهم فهم بما تقتضيه
قوانين الجهادية وتعهد ناظر الجهادية بأن لا ينجم عن ذلك خطر ولا ضرر فانعقد
ذلك المجلس بقصر النيل وجلبوا اليه لما كنهم فقام جمع من الضباط والعساكر
وهجموا على قصر النيل وأهانوا من بالمجلس وأخذوا العرابي ومن معه بالقوة
على حسب عهد كان بينهم فكان ذلك أول التظاهر بالعصيان والخروج عن
طاعة الحكومة وشاعت هذه النازة حتى وصل خبرها الى البلاد الأجنبية فجمع
الخديوي المرحوم توفيق النظار وأعيان الامراء وتفاوضوا في اطفاء هذه الفتنة فقرر
تغيير ناظر الجهادية واجابة العسكر الى مطلوبهم والاعضاء بما حصل منهم لما
تبين من عدم وجود قوة تحت يد الحكومة ترد جماهم فلم ينقطع الشر بذلك
بل تمادوا على العصيان وجاهلهم الخوف على أنفسهم على شدة الغرور وعدم
قبول النصيحة وطمعوا في أن يكونوا أصحاب الحل والعقد في الحكومة
وتأكد التحالف بينهم حتى بلغ بهم الامر الى أن هجموا على سراي عابدين
ووجهوا

ووجهوا اليها المدافع وطلبوا سقوط هيئة النظارة وترتيب مجلس النواب وزيادة عدد الجند الى ثمانية عشر ألف عسكري فحضر القناصل وأوصلوا الامر الى دولهم بواسطة التلغراف وبعد المخارات أجيب العسكر الى مطلوبهم وغيرت هيئة النظارة وصدر الامر الخديوي الى المرحوم شريف باشا بتشكيل هيئة تحت رئاسته فشكلها وعقد مجلس النواب فشرع رجال المجلس في تقرير لائحته الاساسية وبعد قليل طلبوا أن يكون لهم الحق في نظرية ميزانية الحكومة بشرط عدم الخروج عن المعاهدات الدولية وقانون التصفية فلم يجهم المرحوم شريف باشا الى ذلك فأصرروا على الطلب وظهرهم العسكر فاستغنى المرحوم شريف باشا وتغيرت هيئة النظارة وتشكلت هيئة جديدة تحت رئاسة محمود باشا البارودي وجعل من رجالها أحمد عرابي على الجهادية والبحرية فلم تقم بذلك نيران الفتن بل اشتعلت وانضم الى الطائفة العرابية الخوارج كثير من أهل البلاد وأعياها ما بين راغب وراغب وفي أثناء ذلك أتى الى ميناء الاسكندرية مراكب حربية انجليزية وفرنساوية وغيرها لتقرير الأمن وإطفاء الفتنة وحضر الى مصر درويش باشا مندوبا من طرف الدولة العلية لتسكين الفتنة فلم تحصل النتيجة وقام الخديوي الى الاسكندرية ولحقه درويش باشا وتداولت المحادثات بين الدول وبينها وبين الباب العالي وتقرر عقد لجنة بالاستانة العلية للنظر في هذه الحادثة وفي أثناء ذلك أطلقت على الاسكندرية المدافع من المراكب الانجليزية وقاومت العساكر المصرية سويقات ثم انهزموا وخرجوا من الاسكندرية بعد اشعالهم النار فيها وحثوا أهلها على الخروج فخرجوا هائمين على وجوههم كيوم المحشر وتفرقوا في البلاد وحصل لهم من السلب والتهب وهتك الحرم ما يكل القلم عن حصره ودخل الانجليز الثغر وتخصن العرابي ومن معه بطواب عملوها من تراب يكفر الدوار وسدوا المحمية ليجنوا وصول الماء الى الاسكندرية وكثر الممدون لهم بالانفس والاموال

ملين راغب وراغب وعم الخوف كل من لم يتشبع لهم وامتلأت الطوبخانة
عن تظاهر بمخافتهم وفي خلال تلك الاحوال كان قد تشكل بالقاهرة مجلس
تتبر في يامر العربى للنظر فى المصالح وكثيرا ما عقدوا مجالس للنظر فى مسائل
تعرض من طرف العربى وحزبه وفى آخر مرة عقد مجلس بديوان الداخلية
بالقاهرة ندى اليه كثير من الامراء والعلماء والروعاين وأعيان البلد وكنت
قد حضرت من يلى لقضاء بعض المصالح فكنت من ندى اليه فعبت سفيرا
الى الاسكندرية مع جماعة من الوطنيين فلما وصلنا الى الاسكندرية تكلمت
فى عمل طريفة لما يوجب خلود نيران هذه الفتنة فاجاب الجناب الخديوى
ومشارف المكالة فى هذا الشأن مع رؤساء الانجليز لكن لم ينجح ذلك لمزيد
تقوية العسكرية بوليا على العربى أن يقول الانجليز الى جهة برزخ السويس
تقول بانكم عنكم الى الل الكبير بالشرعية فمضوا هناك ووقع بينهم
لذين الانجليز مناوشات انتهت بانهم زام عربى وقومه وسار الانجليز الى القاهرة
وأسلم العربى نفسه وقبض على من ضكان معه ومن اتهم بالتشيع له ومن
الجميع فى أضيى السجون وبعد ان حضر الخديوى الى القاهرة وهدأت الامور
عبرت لجنة التحقيق وأخرى للحكم على كل بقدر جنايته وتم الامر بعقوبة
البعض والعفو عن البعض وبثرة البعض والله عاقبة الامور وأثر انهم زام
العربيين تشكات نظارة تحت رئاسة المرحوم شريف باشا فى سنة ١٨٨٣
ميلادية فكنت من أعضائها على ديوان الاشغال العمومية فوجهت النظر نحو
اتمام ماقرر فى المدة السابقة وفى هذا العام أعنى سنة ١٨٨٣ ميلادية
نلت من لندن الحضرة الخديوية التوفيقية رتبة (روملى بيكرليك) وفيها أيضا
كانت وابورات الخطاطبة غير كافية لاجتياجات أراضى المديرية فحصل تنعيم
الشروط التى كانت قد عملت مع مسيو داستون على تجديد وابورات بهم رتبة
الخطاطبة ولزيادة مقدار المال الى نحو خمسة ملايين من مكعب بعد أن كان

الوارث ثلاثة ملايين واقتصد الديوان طريق المقايضة في المباني على الإطلاق ورتب
لترقية ذلك من يلزم من المهندسين لئلا يخرج الاعمال عما في التجهيزات وجعل
لذلك استشارة يجري العمل عليها ثم أخذ في نقل جسور الزعرة الإبراهيمية كي
لا تهلك الأثرية فيها ولتتمكن من تكرار العمل وليكثر العمل صار تقسيمه على
سنتين وجعل بعضه يعمل بالمقاولات على وجه التجربة والتقصير يعمل بانقياد
العقيدة ثم وجهت المهمة نحو مرممة عمارات جميع المديريات وتجهيدها ما هو لازم
ووقعت كراكات بالمحمودية لاستدامة قطاعها وصار من الزعرة الإبراهيمية لسوق
زورج مديرية بنى سويف وترتيب كراكات بالإبراهيمية وبنيت الورشة لترميم
الآلات وتجهيدها ما يلزم ورتب لها ما يلزم من الأدوات والصناع وصرف على
تطهيرها في هذه السنة نحو سبعة وعشرين ألف جنيه وبلغ إرادها في أشغال
التحريك نحو من أربعة ملايين متر مكعب من الماء ومثل ذلك صار في زعرة
الاسماعيلية وصرف عليها نحو أربعة وعشرين ألف جنيه وكان بحر موبين
يقطع به الماء في زمن الصيف لكثرة الرمال بقمه وحدوث الجزائر به وأما
ولا يتفعه التطهير الجاري به كل سنة فتمت به كراكات بأيدوانها وعالها فزال
منه الرمال وكثر المنيعة وفي فروعه واستقر الحال على استعمال الكراكات
في الأجر الكبيرة كالتحريك والمنصورة ورياح الوسيط ورياح المنوفية
والقربية وأن يكون ذلك على التدرج وبذلك تخفف التطهيرات الصيفية عن
كامل الأهالي وما يتصل من البلية ربما يوازي ما تصرف على الكراكات
ولو أنهما مع كثة فوائد الكراكات جفا عن عمل الإنارة وأجريت في تلك
السنة أعمال متنوعة فيما يخص التطهيرات والمحافظة على كوري قصر النيل
وسيد بوقر وأثنى بالشرقية مدرسة الزطريق وديوان المديرية وملحقاه وفي
القاهرة جرى تبليط شوارع وممرات أخرى وإنشاء مجاري وممرات مياه وترتيب
قوائس غاز على حسب الحاجة وصار مشترى هراس بخارى وكسبان تجرها

البهايم وتنظيم جنات وميادين وبلغ مصرف أعمال القاهرة في تلك السنة نحو خمسة وسبعين ألف جنيه وكذا جرت عمائر وأعمال متنوعة بمدينة الاسكندرية وفي الاقاليم الغربية والقبيلية وفي مديرية الدقهلية قنطرة ترعة الساحل وكبرى معدي على ترعة أم سلة وصار التسروع في جعل ترعة الارباد في البحر الصغير مضرا لاهياء أراضي البحر الصغير وترعة مستعدة بين أطيان الدراكسة وميت سويد وحوشة ببحيرة الطبلية وفي الغربية صار التسروع في عمل كبرى مدينة المحلة وقنطرة بسينون وحولت ترعة سليم الاخضدة من الخضراوية من نيلية الى صيفية وفي المنوفية كملت قناطر النعناعية وحولت ترعة الجراء من نيلية الى صيفية ونقلت جسور ترعة الساحل وفي البحيرة عملت حوشة جديدة على جزيرة الطيرية وتحويلة لجسر النيل بناحية الفيحة وأخرى وقاية من بقيت ناحية الاحماس وفي القليوبية نقلت جنور ترعة ككوم بيتن وعملت مساطيح لترعى القرطامية وأبي المغنى وفي مديرية بنى سويف بنيت القناطر السبعة في جسر قشيشة ومعارات تحت بعض الترع لنفوذ المياه الجراء الى الحيضان وقناطر أخرى في الجسور للصرف وعملت قنطرة بالحوض السلطاني وفي الفيوم قناطر بحر العرق وسد قم بحر النزة القديمة وعملت به تحويلة لايصاله بالبحر الاصل وفي مديرية المنية عملت قناطر بالحيضان كحوض الطهنشاورى وحوض الجرفوس وكذا عمل في مديرتي جرجا وقنا الى ذلك الوقت لم يكن بالمديريات محلات كافية لدواوين الادارة والقضاء والضبط ونحو ذلك وكان الموجود منها منبثا بالطوبى النى أو الديش على غير نظام وكانت الحبوس حواصل مظلة لا يدخلها النور الا قليلا وكان اصحاب الجرائم على اختلاف جرائمهم يخزنون فيها كالامتنعة وداخلها يختنق بمجرد استئناس هوائها فظنت الحكومة الخديوية لذلك وصدر الامر بانشاءها فعمل ديوان الاشغال التصميمات اللازمة وشرع في بنائها على التدرج فبدأ بديوان مديرية الشرقية والمنوفية وكذا

لم يكن بالمديريات استناليات داعية الى الصمة بل كان بعضها محل ورشة ونحوها واكثرها متهدم والسليم منها كريط الهائم فعلت تميمات لتلك الاعمال على حسب أهمية كل مديرية بالكبر أو الصغر وتدرجت الاعمال على السنين فعلت استناليات المنصورة والغربية في تلك السنة وكذا الذبح كان في الفضاء وبطاريا على غير قانون ومنافع الحكومة منه قليلة فبنى مذبح المنصورة والغربية وجعلت تلك المباني أمودجا لما يبنى في سائر المديريات وبنيت جلة شون للصالح وقرافولات للعساكر وغير ذلك مما لايسع المقام شرحه ولنذكر هنا بعض ملخص التقرير الذي عمل اذ ذاك بديوان الاشغال وقدم لمجلس النظار بخصوص الرى واستيفاء أعمال سقى الزراعة الصيفية في زمن التعاريف وازالة صعوبة أعمال التطهير عن كاهل الاهالى واتساع نطاق الزراعة والمحصولات فمن أهم ذلك اتمام ما يلزم لمصلحة ترعى الرمادى والابراهيمية وترعة أخرى مهمة في الاقاليم القبلية لازالة غوائل الشراق الذى يتوقع حصوله في بعض السنين فان ما يصرف في أعمال تلك الترع أو في ترتيب وابورات لتكميل رى الحيضان المرتفعة ولو كان كثيرا في نفسه لكنه قليل جدا في جنب ما تجسره الاهالى والحكومة عند حصول الشراق فقد كانت نخسارة الحكومة وحدها سنة ١٨٧٧ ميلاديه عند ما كان النيل أقل من ١٧ ذراعا وهبط بسرعة أكثر من مليون جنيه ولا بد أن الاهالى كانوا يمتثل ذلك أو أكثر فضلا عما قالوه من الضنك والموت وكثيرا ما يكون النيل أقل من اللازم فتتكرر الخسائر فمن الضرورى تدارك ذلك بإجراء تلك الاعمال للامن على الاموال والانفس ومن ذلك بناء القناطر اللازمة في جسور الحيضان لتقل كلفة الرديف السنوى وتقل أضرار العونة وفي الوجه البحرى بدلا عن المعالجة في القناطر الخيرية وكثرة الصرف عليها مع طول المدة بترتيب وابورات على شاطئ النيل كقبة اسقى المزروعات وقد سار البحث عما يلزم لكل مديرية من الوجه البحرى قنين

انه يكفي جميعها في اليوم واليلة خمسة وعشرون مليون متر مكعب من الماء بما في ذلك من مليون ونصف لمديرية البحيرة وباعتبار أن القدان يلزم له عشرون مترا مكعبا لكل يوم وان اراد النيل في أشد التاريق هو ثمانية وثلاثون مليوناً كل يوم يكون الباقي في مجراه نحو ثلاثة عشر مليوناً ومبلغ الخمسة والعشرين مليوناً المذكور موزع على مديريات بحري بحسب زمامها هكذا لمديرتي القليوبية والشرقية خمسة ملايين منها ثلاثة ملايين وثلاث من الواورات التي توضع على الخليج المصري والشرقاوية والباسوسية والباقي من النيل بواسطة الاسماعيليه وبحر موسى ومديرية الدقهلية أربعة ملايين منها ثلاثة من الواورات التي توضع على ترعة الساحل والبحر الصغير والباقي من النيل بواسطة ترعتي أم سلة والمنصورة بعد تطهيرهما بالكرات حسب المطلوب ولبنوفية والغربية عشرة ملايين منها سبعة بالآلات البخارية وهي أربعة طقوفة واحد برأس روضة البحرين وآخر خلف القرنين وثالث على ترعتي الساحل والخضراوية والرابع بقرب قم البحر الضعيفي والثلاثة الباقية من النيل بواسطة رياح الوسط ومديرية البحيرة أربعة ملايين ونصف من الواورات الراكبة على المحمدية وترعة الخطاطبة خلاف ما يأخذ من الرياح ومديرية البحيرة مليون ونصف بطقمي آلات أحدهما يوضع على الشاطئ الايسر للنيل لرى أراضي شرق أطفح والآخر في رأس المديرية القبل قرب قنطرة حمزة وتقدم لديوان الأشغال من بعض الشركات المقترحة طلبه بتعهد اجراء تلك الاعمال بفرض معاملتها كنص شروط الخطاطبة وجعل مدة الالتزام نجسا وثلاثين سنة علت حسبة في الديوان فظهر أن ما يلزم دفعه كل سنة لتلك الشركة مائتان وسبعة وثلاثون ألف جنيه مصري موزعة على المديريات هكذا على مديرية البحيرة تسعة وثلاثون ألفاً وثمانية جنيه وعلى القليوبية والشرقية تسعة وخمسون ألفاً ومائة جنيه وعلى الدقهلية ثمانية وثلاثون ألفاً وثمانمائة

وخمسون جنيها وعلى المتوفية والغريبة مائة ألف وألف وثمانية جنيهات وعلى البعيرة تسعة وأربعون ألفا وباعتبار أن المزارع صيفيا مليون قدان فقط يخص الفدان سبعة وعشرون قرشاصانا تقريبا بصرفه تستوفى الزراعة حقها من المياه بسهولة وإذا اعتبر التوزيع بالنسبة لعموم الزمام يخص الفدان نحو عشرة قروش وذلك قليل جدا في جنب ما انفصل عليه البلاد من القوائد التي منها ان رفع المياه بالآلات الى مستويات يضمن ثبات مقدار الكمية اللازمة للزراعة مهما بلغت درجة انحطاط النيل وذلك من أهم الامور ومنها تنقيص التطهير الصيق بمقدار مهم جدا ومنها انه بواسطة الآلات تصككون الاراضي المرتفعة والمغطة تنال من الماء بقدر اللازم فقط ومنها انه فضلا عن دوام استيفاء الكميات المقدرة من الماء فمن الممكن زيادة ارتفاع الماء في الترع أو تنقيصه على حسب الحاجة فيتوفر على الناس ما ينفعونه في سبيل رفع الماء بالسواقي ونحوها ومنها انه بواسطة رفع سطح الماء بحسب الطلب يمكن تحويل جميع الترع النيلية الداخلية الى صيفية بدون اجراء حفر فيها بحيث يتيسر استخدامها للزراعة الصيفية فيتمتع الاهال بالزراعة الصيفية بعد حرمانهم منها وبالجملة فيجب للمياه الى الترع بواسطة الآلات بصير مقدار قصرها كافيا كافلا لاحتياجات الاراضي اذ لا توجد أرض الا وريها مرتب على ترع نيلية أو صيفية وقد تكللنا في كتابنا نخبة الفكر على ما يتعلق بالقناطر الخيرية بأبسط عبارة فليراجع ولم تزل هيئة هذه النظارة قائمة على قدم السداد جادة فيما فيه عمارة البلاد وراحة العباد الى أن حدثت أمور أوجبت استعفاء النظارة وتشكلت نظارة أخرى تحت رئاسة دوللو نوبار باشا وذلك في أواخر سنة ١٨٨٣ ميلادية واستمرت الى منتصف شهر يولييه سنة ١٨٨٤ ميلادية توافق سنة ١٣٠٥ عربية ثم استغنى وسقطت النظارة ويتارخه صدر الامر العالي الخديوى الى الجناب العظيم ذى الدولة مصطفى

بأننا رياض بتشكيل نظارة تحت رياسته مقلدا حرسه الله مع ذلك نظارة
الداخلية والمالية فجعلت من رجال هذه النظارة مقلدا أيضا نظارة ديوان
المعارف وما أنا الآن قائم بهذا الامر على حسب المصالح بقدر الامكان والله
المستعان وكنت في بلدتي مشغولا بزراعة بعض ارض لي هناك كان قد مضى
على نحو من ثلاثين سنة لم أنجح اليها بسبب كثرة اشتغالي بمصالح الحكومة
ومن طول المدة كانت آلت الى التلف وصار أغلبها سبانا لما طلبت لهذه
الخدمة تركتها وأخذت في تأدية ما فرض على قياما بحق وطني وأسأله سبحانه
وتعالى أن يوفقنا لما فيه نفع العباد وأن يحتم لنا والمسلمين بالخير انه جميع
قريب بحبيب الدعوات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
هذا كلامه رحمه الله عن نفسه

وتقول تكلمة لرجته أنه تعتمد الله بالرجة بقي في هذه النظارة أكثر من سنتين
يشتغل بما هو شأنه من اعلاء المعارف وتهذيب التربية وتعميمها ففتحت في مدته
هذه المدارس الاهلية في المدن والاقليم ورأى رحمه الله أن لابد من العناية
بأمر التربية الابتدائية فاستصدر أمرا عاليا يجعل الكليات تحت رعاية ونظر
نظارة المعارف وشكل ترتيبها قومسيونا اشتغل بنظامها ووضع لائحة للتعليم
فيها واستحدث قرفة في مدرسة دار العلوم تعلم فيها ما يلزم للتعليم في هذه
الكليات وبالفعل أدخل الاصلاح على كثير من الكليات في مصر وغيرها
من كبار المدن ومضى في هذا السبيل المنير فكان أكبرهمه ومضى أفكاره
يقدمه على سائر الاصلاحات

وبعد ذلك كان القدر ان سقطت هيئة النظارة التي كان فيها وذلك في ١٢ مايو
سنة ١٨٩١ الموافق ٤ شوال سنة ١٣٠٨ وقد جرت العادة لصاحب
الترجة رحمه الله أنه عند اقالته من مثل هذه المناصب يشتغل باكمال التأليف
فوجه عنايته الى ذلك فأكمل كتاب المقاييس والموازن والكيابل وطبعه وأمر

بعد ذلك بترجمة كتاب (تاريخ العرب) لعالم سيديو المحقق الفرنسي فكان كما
أمر وطبع وهو الآن بين أيدي القارئ وقد أخذ بعض الأفاضل الأزهرين
وشرع في قراءته لطلبه العلم في الجامع الأزهر والفضل في ذلك أيضا لصاحبه
الترجمة فانه هو الذي سهل الطريق لهذا العالم بإعطاء كثير من الطلبة نصيبا مما
ثم أكمل كتابا جليلا سماه آثار الاسلام في المدنية والعمران فكان هذا الكتاب
آخر عمل له مبرور وختمه سعيه المشكور فانه نعم الكتاب شرح فيه كل ما أدخله
الاسلام من العمران في الممالك وما ترتب عليه من المدنية والنظام وما تضمنته
من الحكم والعلوم العالية بعبارات متسلسلة بيان المطلوب على وجه صحيح
مقبول الا أن هذا الكتاب لم يطبع الى الآن والذي نعرفه من أمره أنه لما
أكمله تأليفا وتبليضا أعطاء لاحد أفاضل العلماء الأزهرين ليعيد نظره عليه
ويصدق في مراجعة أصول الاحاديث النبوية التي فيه فكان كذلك وقراء هذا
الاستاذ لاخر حرف فيه وكتب بما رآه من بعض ضبط الروايات في الحديث
عدة أوراق الحقها بذلك الكتاب وها هو باق فيما نعلم بخزانة مؤلفه رحمه الله ينتظر
من أهل العلم والعرفان التفاتة الى طبعه لتم به الفائدة ويعرف فضل الاسلام في تقدم
البلدان

ثم انه رحمه الله قد كان سافرا الى بلده في أواخر أمره لتفقد حال زراعته
واسلاحها فادركه هناك مرض في الثالثة كان سببا في عودته الى مصر وقد أخذ
يعالجه اطباء فلم ينجح الدواء وأدركه الاجل بمصر في منزله بالحليمة ليلة الثلاثاء
٥ جمادى الاولى سنة ١٣١١ - ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣

وقد كان لخبر وفاته في أعماق القلوب لافرق في ذلك بين رفيع ووضع لان
قدره معلوم للعوام وأظهرت الحكومة المصرية وحاكمها الجناب الخديوي الاعظم
شديد الاسف على وفاته وقوات منفعته للبلاد والاهلين وأمر الجناب العالي أدامه الله
وأبقاه بأن يحتفل بيوم تشييع الجنازة أعظم الاحتفال وأتخذ هذه الايام

دولة رياض باشا رئيس النظار فكان تشييع جنازته رحمه الله على أعظم ما روى
فمن سبقوه من الامراء والذوات الكبار وأقبلت المدارس في عموم انحاء القطر
المصرى اكبارا ليومه وتامت الجرائد المحلية العربية والاخرجية وفي مقدمتها
الجرائد الرسمية على اختلاف مشاربها بإعلان خبر وفاته وذكر آثاره وترجمة
سحياته وفام طلبة دار العلوم وغيرهم من ذوى العلم والادب وأهل المعارف برثائه
شعرا ونثرا وتألفت لتأبينه مجلة جمعيات منها ما هو على القبر ومنها ما هو
في الانف تياتر بنظارة المعارف قتليت فيها المرائى الطنانة وكان لها أكبر تأثير
في النفوس واشتركت في ذلك الجمعيات العلمية من عربية وأفريقية فكان لها
كذلك أعظم وأطول المقالات العلمية المبينة لفضله رحمه الله وأباديه على
التربية والعلوم

ثم ان طلبة مدرسة دار العلوم اهتمت بامر تخليد أثره فيها لانهم هو المؤسس لها
فا كتبوا لذلك فيما بينهم اكتتابا اشترك فيه كل المقرجين منها من أول
تأسيسها الى الآن وما جعوه من النقود رسموا للرحوم به صورة بالزيت على
القماش وسيكون لوضعها في مدرستهم احتفال يعد من الاحتفالات العظيمة
في هذه البلاد وكذلك قام جماعة التلامذة في هذه المدرسة بجمع ما قيل فيه
رحمه الله من القصائد وطبعها على نفقتهم وتوزيعها للعموم

ومن أعظم المزايا أن شكلت في العاصمة لجنة من كبار الوطنيين لفتح اكتاب
عموى الغرض منه ان ما يجمع فيه من النقود يقام به أثر تاريخي لهذا الرجل
العظيم

كل ذلك وأمثاله مما ضاق عنه المقام دليل على ما كان لصاحب الترجمة من
المكانة في قلوب أهليه وعلى ان المصريين يقدرونه حق قدره ويعرفون
الفضل لذويه ولا يبغضون الناس أشياءهم في شروى نكير
والحق أحق بان يقال انه رحمه الله لو أقيم له أضعاف ما كان لما وفينا بحقه

ولما وصلنا الى مكافأته على جزء من حسناته فليس لنا الا ان نستهمي لروحه
معائب الرحمة والرضوان من ذى الرحمة والاحسان وان نقم لذكراه في قلوبنا صورا
لاتمحوها الدهور بل تنتقل بالوراثه من الآباء الى الابناء مدى الاجيال وأسأل الله
ان يكون على هذا مقبولا فأننى كما قلت لم أقصد به سوى بقاء اسم هذا الرجل الجليل
المقدارين ابناؤه هذه الديار حقق الله املى واكمل بنوالمقصود على آمين

Bibliotheca Alexandrina



0437318